إعداد آدم للخلافة

تأملات تربوية

أ. د. فؤاد محمد موسى

الألوكة
www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إعداد آدم للخلافة
تأملات ... تربوية !!

www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة

جميع
حقوق الطبع
محفوظة للناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة
شروق للترجمة والنشر

بطاقة الكتاب
الطبعة الأولى: ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م

اسم الكتـــاب: إعداد آدم للخلافة
تأملات تربوية
اسم المؤلف: د / فؤاد موسي
موضوع الكتاب: : تربوي
الناشــــــر: شروق للترجمة والنشر
مقاس الكتـاب: ١٤×٢٠
عدد الصفحـات: ١٧٠
عـدد المـلازم: ١٠,٧٥
رقــم الإيـداع: / ٢٠١٣

المنصورة – أمام مستشفى الطوارئ
ت: ٢٣٦٦٧٦٦ / ٠٥٠
shrook.mst@gmail.com

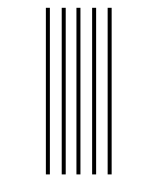

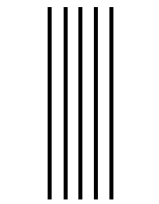

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إعداد أدم للخلافة

تأملات... تربوية !!

د. فؤاد موسى

شروق للترجمة والنشر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أمرنا الله ﷻ أن نفهم أنفسنا: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾[الذاريات] ، وأن نقرأ أنفسنا قراءة خاصة كجزء من قراءة الكون: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ [العلق].

وقد قيل:رحم الله امرأً عرف قدر نفسه فأوقفها عند حدها.

إن معرفة الإنسان نفسه ليس بالأمر الهين، فمن أصعب العلوم معرفة الإنسان نفسه.

فلازال ما نعرفه عن أنفسنا اليوم محدودا، بالمقارنة بما نعرفه عن عناصر الكون المحيطة بنا، وحتى هذ القليل المحدود الذي نعرفه معرفة علمية عن أنفسنا، غير معروف إلا للقلة القليلة من المتخصصين.

وعلى الرغم من ذلك قد نجد الكثير من العامة يعرفون جيدا كيف يقودون السيارة أو يقومون ببناء منزل، أو يديرون الكثير من الأجهزة الإلكترونية كالتلفار أو الراديو أو جهاز

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاتصال المحمول ...أو حتى يصلحونها إن كانت معطوبة، يعرفون ذلك بصورة أفضل وأكثر من معرفة الإنسان منهم نفسه: كيف يفكر أو يحل مشكلة أو يشعر أو يبدع، أو يتفاعل مع الآخرين، أو ما الذي يحكم تصرفاته في مواقف الغضب أو الحزن أو الفرح؟!

إنَّ فهم الإنسان لنفسه يشكّل عاملاً جذريًّا في صياغة تعامله مع مختلف الأمور، فلفهمه لنفسه علاقة صميمة بنَسَق نظره للوجود، ونمط مسلكه في الحياة، فإذا فهم المرء نفسه على أنّه جرمٌ صغير محدود منفصل، تصرّف كجرمٍ صغير محدود منفصل، عندها ينحصر جلّ همّه في نفسه. أمّا إذا فهم المرء نفسه أنّه ذات موصولة بمطلق الوجود، وأنّه فيض من معين، منه فيض الوجود بأسره، تصرّف من عُرض نظر، يعتبر الكون كلّه مجاله، الأرض كلّها موطنه، الحيوان جميعه رفقة الحياة، والبشر عامّة إخوة في الإنسانيّة.

إن الإنسان فيلسوف بطبيعته يتساءل عن وجوده وخلقه: مما خلق؟ ما خصائصه؟ ولماذا خلق؟ من أين أتى؟ وإلى أين مصيره؟ ما قيمتة بين المخلوقات؟ وما علاقته بهم؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لذلك يثار السؤال التالي كثيرا: ما طبيعة الإنسان؟ لأهميته في حياة الأمم، وكان سعى الإنسان الدائم لفهم هذه الطبيعة مهماً للغاية، حيث إن تحديد الطبيعة الإنسانية هو السند الحقيقى لكل الحركات الاجتماعية فى مجتمع الإنسان ، وهو المنطلق الصحيح للتنظير التربوى ، وبالتالى إعداد الإنسان وتربيته.

لقد تعددت الفلسفات واختلفت وجهات النظر فى الإجابة على هذا السؤال، وكان هذا التعدد وذلك الاختلاف يعود دوما إلى التباين في مذاهب الاعتقاد أو إلى سيادة نمط حضارى دون آخر. فقد ظهرت في الغرب العديد من العلوم التي تحاول فهم الإنسان وطبيعته، كعلم النفس بفروعه المختلفة: علم النفس التعليمي، وعلم نفس التعلم، وعلم النفس التربوي...وقد انبثقت هذه العلوم من طبيعة الثقافة الغربية بعيدا عن مصدر التلقي الحقيقي لخالق هذا الإنسان ومصوره! ومن هنا شابها الكثير من النقص والتشويه وعلامات الاستفهام.

إذا كان الفكر الغربى قد حاول جاهدًا أن يحتوى الطبيعة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإنسانية فى جوانبها المختلفة من فكره الخاص ، فإن الفكر الإسلامى المنبثق من القرآن الكريم والسنة النبوية، يحاول أن يقدم لنا فهماً واعيًا حكيماً للطبيعة الإنسانية فى جوانبها المختلفة بالصورة التى خُلقت عليها، وبالشكل الذى ينبغى أن تكون عليه.

وهذا البحث محاولة للمساهمة في فهم هذا الإنسان في ضوء القرآن والسنة النبوية، على أساس أنهما المدخل الأساسى لفهم سلوك الإنسان ودراسته.

فهو محاولة للإجابة على السؤال العام التالي:

كيف أعد الله آدم للخلافة؟

ويتفرع من هذا السؤال الأسئلة التالية:

ما مراحل هذا الإعداد؟

وما خصائص كل مرحلة؟

وما طبيعة آدم في كل مرحلة؟

وما أحداث كل مرحلة؟

وما الهدف من كل حدث من هذه الأحداث؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أهداف هذا البحث:

١- بيان أن: حضور الملائكة ومعهم إبليس ،وعملية خلق آدم ، وسجود الملائكة لآدم وامتناع إبليس عن السجود، ومشاهدة آدم لذلك، ثم توبيخ الله لإبليس لعدم السجود، ورد إبليس على الله بطريقة فيها احتقار لآدم، ثم إعلام الله لإبليس بطرده من الجنة ، مما أثار زيادة حنق إبليس على آدم وتوعده بإغوائه وذريته، وكان هذا على مسمع ومشهد آدم، كل ذلك كان جزءا من بيان عداوة إبليس لآدم بالمشاهدة والسماع . وهذا ما أقره الله في نهاية ذلك بتحذيره لآدم بأن إبليس عدو له ولزوجه. أي أن هذه كانت مرحلة تربية لآدم على عداوة إبليس له باستخدام هذه الطرق والوسائل والأساليب.

٢- أيضا بيان أن: وضع آدم وزوجه في الجنة وحياتهما الرغدة فيها، ووسوسة إبليس لهما، وأكلهما من الشجرة المحرمة عليهما نتيجة هذه الوسوسة، وانكشاف عوراتهما لهما، وإدراكهما للوقوع في المعصية، وعتاب الله لهما على ذلك، ثم توبته عليهما، وصدور الأمر لهما بالهبوط إلى الأرض لبداية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مشوار الحياة عليها، كل هذا كان امتدادا لتدريب آدم على عداوة إبليس له ولزوجه، ولكن بالممارسة الفعلية لهذا الدور مع إبليس وتذوق مرارة هذه العداوة.

٣- إظهار الجوانب التربوية من استراتيجيات وطرق وأساليب ووسائل التربية التي جاءت في القرآن الكريم أثناء تدريب آدم على مهمة الخلافة التي خلقه الله من أجلها، ، خاصة وأن المربي لآدم في هذا الموقف هو رب العزة العالم بطبيعته، وقد أوضح الله لنا في القرآن الكريم خطوات هذه التربية وتسلسلها، لنتعلم منها ونقتدي بها في التربية، فالقرآن الكريم كتاب تربية في المقام الأول.

٤- بيان أن: ما توصلت إليه خبرة البشرية في مجال التربية على وجهها الصحيح قد أشار إليه رب العزة في القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمن، مما يمكن استخدامه في إقناع غير المسلمين بأن القرآن الكريم كتاب منزل من رب العالمين.

المنهج المتبع في هذا البحث:

١- تتبع وتجميع الآيات القرآنية التي وردت في السور

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المختلفة بالقرآن الكريم المتعلقة بتربية الخليفة الأول، آدم عليه السلام، على أساس أن هذه الآيات يكمل بعضها بعضا، وهذا ما أكده سيد قطب في الظلال في مقدمة سورة البقرة بقوله: «يحسب أناس أن هنالك تكرارًا في القصص القرآني، لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سور شتى. ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة، أو حلقة من قصة قد تكررت في صورة واحدة، من ناحية القدر الذي يساق، وطريقة الأداء في السياق. وأنه حيثما تكررت حلقة كان هنالك جديد تؤديه، ينفي حقيقة التكرار. وأن المناسبة الموضوعية هي التي تحدد القدر الذي يعرض من القصة في كل موضع، كما تحدد طريقة العرض وخصائص الأداء».

٢- تصنيف الآيات طبقا لموضوعها .

٣- ترتيب هذه الموضوعات بما يحقق التسلسل المنطقي للأحداث.

٤- الاعتماد على تفسير الآيات القرآنية بعضها لبعض في التوصل إلى الاستنتاجات المختلفة التي يثار حولها هذا الموضوع.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مسلمات البحث:

١- إن كل أحداث الكون هي من تخطيط الله وتدبيره، وتحدث بإرادته، ولحكمة من الله قدرها تقديرا.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنعام].

﴿...أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف].

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر].

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر].

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر] .

٢- إن ما جاء من أحداث في القرآن الكريم جاء عبرة للإنسان ليتعلم منها في مسار حياته. وهذا ما أكده سيد قطب في الظلال بقوله:

«المنهج القرآني لا يعرض توجيهاً إلا لمواجهة حالة قائمة؛ ولا يقص قصصاً إلا لأن له موقعاً في واقع الحركة الإسلامية.. إنه لا يعرض قصصاً لمجرد المتاع الفني! ولا يقرر حقيقة لمجرد عرضها النظري.. إن واقعية الإسلام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وجديته تجعلان توجيهاته وتقريراته، لمواجهة حالات واقعة بالفعل في مواجهة الحركة الإسلامية».

ثم يستطرد قائلا: «وبعد فإنها ليست قصة! إنما هو عرض لحقيقة الإنسان لتعريفه بحقيقة طبيعته ونشأته، والعوالم المحيطة به، والقدر الذي يصرف حياته، والمنهج الذي يرضاه الله له، والابتلاء الذي يصادفه، والمصير الذي ينتظره، وكلها حقائق تشارك في تقرير - مقومات التصور الإسلامي».

إن الهدف من القصص القرآني: أن يكون لدينا تصور إسلامي عن طبيعة الإنسان، مم خلق هذا الإنسان؟ وما طبيعة كل عنصر من عناصر خلقه؟ وما ترتب على هذا من خصائص لهذا الإنسان؟ وما رسالته في الحياة؟ وإيضاح القيم التي يرتكز عليها .وهي القيم التي تليق بعالم صادر عن الله، متجه إلى الله، صائر إلى الله في نهاية المطاف..

والله نسأل أن يتقبل منا هذا العمل المتواضع ، إسهامًا منَّا في نهضة أمتنا ، والحمد لله رب العالمين.

المؤلف

د/ فؤاد موسي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الباب الأول

إعداد آدم عليه السلام للخلافة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إعداد آدم عليه السلام للخلافة

لنعش لحظات مع قصة البشرية الأولى وما وراءها من إيحاءات أصيلة: ها نحن أولاء - بعين البصيرة في ومضات الاستشراف - في ساحة الملأ الأعلى؛ وها نحن أولاء نسمع ونرى قصة البشرية الأولى، من خلال الفصول التالية التى نتناول فيها مراحل الإعداد .

الفصل الأول
مرحلة إعداد مسرح الأحداث
(إعداد الملائكة وإبليس لأدوارهم)

بدأت هذه المرحلة بعملية إعداد تمثلت فيما يلي:

١ - إعلان خلق بشر:

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ ﴾ [ص].

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحجر].

تبدأ قصة البشرية بأحداثها المثيرة..

كان هذا أول إخبار من الله للملائكة بخلق مخلوق جديد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

«بشر»ومادة تكوينه من طين، وقد تم تحول الطين بعد ذلك الى صلصال.

ولكن ما الهدف من هذا الإخبار؟

هل كان إبليس مشمولا أيضا بهذا الخبر؟

وإذا كانت الإجابة بالإيجاب فلماذا؟

لنرجع إلى الأحاديث النبوية الخاصة بخلق آدم، لعلنا نتحث الإجابة.

عن أبي هريرة :أن رسول الله ﷺ قال :«إن الله خلق آدم من تراب، ثم جعله طيناً، ثم تركه حتى إذا كان حمأً مسنوناً خلقه الله وصوّره، ثم تركه حتى إذا كان صلصالاً كالفخار، قال :فكان إبليس يمر به فيقول :لقد خلقت لأمر عظيم»! (الترمذي).

وعن أنس :أن النبي ﷺ قال : «لما خلق الله آدم؛ تركه ما شاء أن يدعه، فجعل إبليس يطيف به؛ فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يتمالك». (مسلم).

وعن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض؛ فجاء بنو آدم على قدر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأرض، جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب، والسهل والحزن وبين ذلك» (أحمد).

عن أبي هريرة :أن رسول الله ﷺ قال : «كان طول آدم ستين ذراعا في سبع أذرع عرضا» . (أحمد).

عن مسلم بن يسار الجهني: أن عمر بن الخطاب سُئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ الآية [الأعراف:١٧٢] ؛ فقال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله ﷺ يُسْأَل عنها؛ فقال: «إن الله خلق آدم عليه السلام ثم مسح ظهره بيمينه؛ فاستخرج منه ذرية؛ قال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون. ثم مسح ظهره، فاستخرج منه ذرية؛ قال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون ». فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل ؟ قال رسول الله ﷺ: «إذا خلق الله العبد للجنة؛ استعمله بعمل أهل الجنة، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة؛ فيدخل به الجنة. وإذا خلق الله العبد للنار، استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل أهل النار؛ فيدخل به النار»(مالك، أحمد).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد جاء في قصص الأنبياء ، للإمام ابن الحافظ ابن كثير: «ذكر السُّدِّي عن أبي مالك وأبي صالح، عن ابن عبَّاس، وعن مُرَّة عن ابن مسعود، وعن ناسٍ من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا :«فبعث الله ﷻ جبريل في الأرض ليأتيه بطين منها، فقالت الأرض :أعوذ بالله منك أن تنقص مني أو تشينني، فرجع ولم يأخذ، وقال :رب إنها عاذت بك فأعذتها.فبعث ميكائيل فعاذت منه فأعاذها، فرجع فقال كما قال جبريل . فبعث الله ملك الموت فعاذت منه، فقال :وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره، فأخذ من وجه الأرض وخلطه، ولم يأخذ من مكان واحد، وأخذ من تربة بيضاء وحمراء وسوداء، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين . فصعد به فبل التراب حتى عاد طيناً لازباً .واللازب :هو الذي يلزق بعضه ببعض، ثم قال للملائكة: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [ص]. فخلقه الله بيده لئلا يتكبر إبليس عنه، فخلقه بشرًا، فكان جسدًا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة، فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه، وكان أشدهم منه فزعاً إبليس، فكان يمر به

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيضربه، فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة، فذلك حين يقول : ﴿مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [الرحمن] ويقول : لأمر ما خلقت، ودخل من فيه وخرج من دبره، وقال للملائكة :لا ترهبوا من هذا فإن ربكم صمد وهذا أجوف، لئن سلطت عليه لأهلكنه.

ومن هنا ندك أن إبليس كان معنيا بهذا الإخبار، فكان مهموما بهذا المخلوق وأشد فزعا من الملائكة منه، فيمر عليه ويطوف به ويختبر كينونته ويكتشف خصائصه فكان يضربه؛ فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة، فلما رآه أجوف دخل من فيه وخرج من دبره، وقال للملائكة :لا ترهبوا من هذا فإن ربكم صمد وهذا أجوف، لئن سلطت عليه لأهلكنه .ومن هنا عرف أنه خلق لا يتمالك.

إن خلق آدم من تراب ثم تحوله إلى طين ثم تحوله إلى صلصال لفترات طويلة متتالية من الزمن -كما جاء في الأحاديث- أتاحت الفرصة لإبليس لدراسة هذا المخلوق دراسة وافية عن تكوينه وخصائصه الطينية داخليا وخارجيا كما أتاحت له تكوين مفاهيمه الشخصية عنه .وهذا ما يسر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عليه وسوسته له فيما بعد.

إن علم إبليس بأن تكوين هذا المخلوق من طين كان غواية له من الله، مماجعله يتعامل معه باحتقار فيضربه ويدخل من فيه ويخرج من دبره، ويقول للملائكة :هذا أجوف، لئن سلطت عليه لأهلكنه .وظن أنه خير منه . وهذ ما قاله إبليس لله وما ستبينه الأحداث القادمة كما في الآيات ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف] ، ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾) [الحجر].

ورغم هذا كان لدى إبليس إحساس بأن هذا المخلق سيكون له شأن عظيم فكان يسأل في نفسه ويقول :لأمر ما خلقت، ثم يقول لنفسه :لقد خلقت لأمر عظيم !

وكان لا يذكرذلك لغيره من الملائكة كما يذكر لهم احتقاره له بقوله :لا ترهبوا من هذا، فإن ربكم صمد وهذا أجوف، لئن سلطت عليه لأهلكنه .

نعم لقد خلق لأمر عظيم !ماهو؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢- إعلان خلافة آدم:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة].

بدأ إعلان خلافة آدم في احتفال مهيب، في رحاب الملأ الأعلى.. يعلنه الله بذاته العلية الجليلة، وتحتشد له الملائكة - وفي زمرتهم وإن لم يكن منهم إبليس - وتشهده السماوات والأرض؛ وما خلق الله من شيء.. إنه أمر هائل وحدث عظيم في تاريخ هذا الوجود. ولكن:

لماذا هذا الإعلان؟

ولماذا هذا الحشد المهيب والهائل من الملائكة؟

وما الهدف من حضور الملائكة وفي زمرتهم إبليس؟

وما الهدف من إخبار الملائكة ومعهم إبليس بأن هذا المخلوق سيكون خليفة؟

ألا يستوجب هذا كله التفكير والتدبر ونحن مأمورون من الله بالتدبر والتفكر في كل ما جاء في القرآن؟

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء].

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد].

إن إخبار إبليس بأن هذا المخلوق سيكون خليفة، لتتولد لديه الغيرة من هذا المخلوق .

كما أن حضور الملائكة بهذا الحشد الهائل، في مشهد خلق آدم، كان احتفالا بخلقه وتكريما له وأمام عيني إبليس؛ ليشاهد ذلك فتتحرك في نفسه ضغائن طبيعته الحاقدة، وليرى باقي مشاهد التكريم التالية لذلك، ويعبر فيها عن طبيعة نفسه الشريرة.

إن إخبار الله من قبل للملائكة بأن هذا البشر مخلوق من طين ، وعلمهم السابق بأن المخلوقات التي خلقت في الأرض من الطين من الحيوانات تتصف بسفك القوي منها دماء الضعيف- وهو مانسميه الآن قانون الغاب- دفعهم، بعد إخبار الله لهم الآن بأنه سيكون خليفة، للتساؤل: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ ﴾ [البقرة : ٣٠]. وهذا الاستفسار كان منطقيا مع عدم علمهم حتى الآن أنه سينفخ فيه من روح الله. فكيف تجتمع الخلافة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهي تكريم عظيم لهذا المخلوق مع خصائص الطين التي فيها الإفساد وسفك الدماء؟! وهذا كله بأمر الله .

٣ - استفسار الملائكة:

﴿... قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [البقرة].

لقد دفع الله الملائكة لهذا الاستفسار كما تبين من قبل.

ولكن لماذا جاءت صيغة الاستفسار بها مقارنة بين خصائص الإنسان الذي يفسد ويسفك الدماء وخصائص الملائكة التي تسبح بحمد ربها وتقدس له، وقولها ذلك على مسمع من إبليس؟

إن هذه المقارنة توضح الفرق الشاسع بين متناقضين، بين الأسود والأبيض، بين المعصية التي يقع فيها الإنسان والطاعة المطلقة من جانب الملائكة.

فقد أراد الله أن يسمع إبليس ذلك فيقع في ظنه أنه خير من هذا المخلوق الذي يفسد في الأرض ويسفك الدماء، فتتم غوايته، كما يعرف إبليس أيضا أن تكوين آدم من طين الأرض هو المدخل لغوايته وإفساده، وهذا ما تبين في قول إبليس فيما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعـــد: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحجـر]. فـشهوات الإنـسان الطينيـة مـن مأكـل ومشرب وجنس وحب التملـك والـشهوة ...كلهـا مـداخل الشيطان للغواية.

٤ - إجابة الله على الملائكة:

﴿...قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة].

لقد كان رد الله على الملائكة بأنه يعلم من المصالح مـا هـو خفي عليهم ، ولحكمة في خلق الخليفة لا يعلمونها. نعم إنهـا إرادة الله وتخطيطه وتدبيره.

ولكن ما الذي لم تكن الملائكة تعلمه؟

إن الله عز وجل لم يخبر بَعْدُ الملائكة، ومعهم إبليس، بـأن هذا المخلـوق سـيكون في تكوينـه سر تميـزه بـالنفخ فيـه مـن روحه.

للنظر في الأحداث القادمة لعل فيها الإجابة.

٥ - صدور الأمـر مـن الله للحـضور مـن الملائكـة وإبلـيس بالسجود لآدم بمجرد نفخ الله الروح فيه:

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة] .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الأعراف].

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحجر].

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ ﴾ [الإسراء].

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ...﴾ [الكهف : ٥٠].

﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ ﴾[طه].

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [ص].

لقد صدر الأمر من الله للملائكة، ومعهم إبليس، بالسجود لآدم بمجرد أن ينفخ الله من روحه.

ولكن لماذا أخبر الله الملائكة وإبليس أنه سينفخ من روحه في آدم؟

ولماذا أمر الله الملائكة وإبليس بالسجود لآدم؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولماذا صدر هذا الأمر قبل نفخ الروح في آدم، وليس بعده؟

هنا علم إبليس قدر نفسه بالنسبة لآدم !

وهنا علم إبليس قدر آدم بالنسبة له وللملائكة!

إن لآدم شأنًا عظيمًا! إن فيه نفخة من روح الله، وهناك أمر بالسجود له على الفور؛ تكريما لوجود هذه الروح في هذا المخلوق، لقد تفرد بهذا التكريم.

لقد تهيأت الملائكة للسجود على الفور، وامتلأ قلب إبليس بالغيظ، ولكن ماذا ستكون استجابته لله؟

وهذا يشير إلى أن الإعلان عن خلق آدم كان من أجل حشد الملائكة وإبليس للسجود لآدم، وإعداد الموقف التعليمي لتدريب آدم منذ اللحظة الأولى على مهمته التي خلق من أجلها. أي أن خلق آدم والإعداد لتدريبه على مهمته تلازما معا في نفس الوقت.

٦ - نفخ الروح في آدم:

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الحجر].

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [ص].

لقد نفخ الله من روحه في آدم. هنا اتضح السر الكبير في عظمة وعلو شأن هذا المخلوق، إنها نفخة الله عز وجل فيه من روحه، إنه ليس مخلوقا من طين فقط، بل أصبح فيه سر تميزه الذي خفي من قبل على الملائكة وعلى إبليس، فما هو المطلوب الآن؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الثاني
مرحلة مشاهدة واستماع آدم للأحداث

١ - سجود الملائكة أجمعين لآدم طاعة لله، وعصيان إبليس لله وعدم سجوده لآدم:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الأعراف].

﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الحجر].

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ ﴾ [الإسراء].

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الكهف].

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿١١٦﴾ ﴾ [طه].

﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [ص].

لقد سجد الملائكة امتثالا للأمر العلوي الجليل- وهم الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون - فقد سجدوا مطيعين منفذين لأمر الله، لا يترددون ولا يستكبرون ولا يفكرون في معصية لأي سبب ولأي تصور ولأي تفكير.. هذه طبيعتهم، وهذه خصائصهم، وهذه وظيفتهم..وإلى هنا تظهر كرامة هذا الكائن الإنساني ، كما تظهر طاعة الملائكة المطلقة لله. وعلى النقيض من هذا، امتنع إبليس عن السجود مستكبرا وعاصيا لله ، فهذه خصائصه، وهذه طبيعته التي جبل عليها.

لنعش بعقولنا وأرواحنا ونستشعر الأحداث كما صورتها لنا الآيات السابقة.

- آدم عليه السلام وقد دبت فيه الحياة بمجرد أن نفخ الله الروح فيه.

- الملائكة كلهم ساجدون بحشدهم الذي لا يحصيه إلا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الله. إنه لمشهد مهيب، من كثرة العدد، والكل ساجد مطيع، نموذج للطاعة المطلقة والتسليم التام.

- إبليس يقف شاخصا في هذا الخضم الهائل بين الساجدين، إنه لشذوذ في المشهد، لقد أخل بمشهد السجود، وأصبح بارزا بشذوذه في هذا المشهد، فقد امتنع عن تنفيذ أمر الله - سبحانه - وعصاه.

ولكن لماذا هذا السجود؟

قد يقال: إنه سجود تكريم لآدم كما جاء في بعض التفاسير.

ولكن لماذا هذا التكريم بهذه الصورة وفي هذا الوقت بالذات؟

ولماذا هذا الشذوذ من إبليس بعدم سجوده وإخلاله بالنظام؟ ما الذي حاك في صدره؟، وما التصور الذي سيطر عليه فمنعه من طاعة ربه، وهو يعرف أنه ربه وخالقه ومالك أمره وأمر الوجود كله؟.

أليس كل ما يحدث بمشيئة الله؟

بلى.

أين الإجابة؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لننتظر ونرقب الأحداث التالية لعلنا نصل إلى إجابة مقنعة لنا.

لنتصور أننا في موقف آدم عليه السلام ونفكر.

لقد أبصر آدم ووقع نظره على هذا المشهد المهيب، الذي يجذب الأبصار ويثير التفكير، لماذا هذا السجود من جانب الملائكة؟ امتثالا وطاعة مطلقة.

ولماذا هذا العصيان من جانب إبليس؟

إنها نفس التساؤلات التي سألناها من قبل، هي نفسها التي دارت في عقل آدم.

ولنتابع الأحداث.

٢ - إثبات الله للملائكة أن هناك علمًا لم يتعلموه:

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [البقرة].

لقد نُفخت في آدم الروح، ومن ثم أصبحت لديه في فطرة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تكوينه استعدادات ليست لدى الملائكة، استعدادات القدرة على التعلم والتعليم، وأراد الله أن يظهر ذلك للملائكة في وجود إبليس، فعلم آدم الأسماء كلها، ثم طلب من الملائكة أن يخبروه بأسماء تلك الأشياء، فاعترفت الملائكة بعجزهم بعدم معرفتهم بذلك، وقالوا: لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم. وهنا أمر الله آدم أن ينبئهم بهذه الأسماء، فلما فعل آدم ذلك، قال لهم ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[البقرة]، وذلك تعقيبا على قوله تعالى لهم من قبل ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة].

وهنا انتهى دور الملائكة في هذه القصة.

ولكن ما الحاجة من هذا الإثبات من الله عز وجل، وهو الذي لا يُسأل عما يفعل؟

إن الملائكة لم تكن في حاجة لهذا الإثبات، فهي لا تحتاج لهذا في أداء مهامها التي خلقت من أجلها، فهي التي تفعل ما تُؤمر، ودورها، كما قدره الله لها، أن تكون أداه لتحقيق مراد الله.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أما إبليس فقد علم من هذا الموقف تميز آدم على الملائكة في جانب القدرة على التعلم والتعليم بنفخ الروح فيه، وهو الذي لم تكن تعلمه الملائكة، ولا إبليس بالتالي، وعلِم إبليس به الآن إلى جانب عِلمه سابقا بخلافة آدم لله في الأرض، وقد كان لهذا وقع شديد على نفسه الحقودة بزيادة حقده على آدم. كما عَلِم إبليس أن استخدام بني آدم لهذا التميز في عبادة الله سيكون هو العاصم لهم من الغواية، ولذلك استثنى إبليس، في قسمه لله بغوايتهم أجمعين، الشاكرين والمخلصين منهم: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ ﴾ [الأعراف]، ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠ ﴾ [الحجر]، ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣ ﴾ [ص].

وفي هذا الموقف اكتشف آدم التميز الذي امتاز به حتى على الملائكة، وهذه ضرورة لمعرفة الذات في تكوين شخصيته، والتي بها يحقق الخلافة التي أوكلت إليه.

وبعد هذا الموقف انتهى دور الملائكة عند هذا الحد، وبدأ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

التركيز على دور إبليس، بل أدوار إبليس، ليشاهد آدم ويسمع، ونسمع معه ونشاهد بالبصيرة ما يلي:

٣ - سؤال الله لإبليس عن سبب عدم سجوده لآدم:

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ..... ﴾ [الأعراف:١٢].

﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحجر].

﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [ص].

هنا وجه الله توبيخه إلى إبليس: ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي؟

أستكبرت عن أمري أم كنت من العالين الذين لا يخضعون؟

ولكن لماذا هذا التوبيخ لإبليس على مسمع ومشهد من آدم؟

هل هناك ضرورة لسماع ومشاهدة آدم لذلك؟

لننتظر ونرقب الأحداث التالية لعلنا نصل إلى إجابة مقنعة لنا.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

جاء رد إبليس.

٤ - تبرير إبليس لعدم سجوده لآدم:

﴿...قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف].

﴿ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٖ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾﴾ [الحجر].

﴿...قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴿٦١﴾﴾ [الإسراء].

﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾﴾ [ص].

لقد برر إبليس عدم سجوده لآدم بأنه خير منه لأن آدم مخلوق من طين، وفي الآية الأخرى من صلصال من حمإ مسنون، وهي من نفس مادة الطين، وهذا ما عرفه إبليس من قبل من إخبار الله للملائكة في قوله: ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٢٨﴾ [الحجر] ، ﴿ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾ ﴾ [ص] ، وقد قالت الملائكة -بناء على ذلك- أنه سيفسد في الأرض ويسفك الدماء ﴿... قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ ... ﴿٣٠﴾﴾[البقرة]، ومن هنا جاءت غواية الله لإبليس،فظن أنه خير من آدم لأنه مخلوق من مادة أخرى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهي النار. وتجاهل إبليس ما في آدم من تميز بنفخ الله فيه من روحه.

لقد كان رد إبليس فيه استعلاء وتكبر وتحقير وإهانة لآدم، إنه الحسد ينضح من هذا الرد.

هذا الرد القبيح الذي يصدر عن الطبيعة التي تجردت من الخير كله في هذا الموقف المشهود.

ولكن لماذا هذا الرد بهذا الشكل وآدم يسمع ويرى؟

لقد كان تخطيط الله لذلك حتى يدرك آدم عداوة إبليس له، وإن لم يذكر الله له ذلك مباشرة.

هنا صدر الأمر الإلهي العالي بطرد هذا المخلوق المتمرد القبيح.

٥ - صدور الأمر من الله لإبليس بطرده من الجنة:

﴿ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الأعراف].

﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحجر].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨ ﴾ [ص].

لقد جاء رد المولى عز وجل على إبليس مزلزلا، إنه الخروج من الجنة، أو الخروج من رحمة الله، ولعنة الله عليه إلى يوم القيامة، والصغار له بين خلقه.

أيُّ مذلة هذه! وأيُّ احتقار هذا! إنه الرد من جنس العمل، لقد تكبر على آدم، ونظر إليه باحتقار وصغار.

لماذا جاء رد الله مزلزلا بهذه القوة على إبليس؟

لقد جاءت إرادة الله قاضية على كل أمل لإبليس في رحمته، وبذلك لم يعد أمام إبليس من عمل خير له على الإطلاق، لا مجال أمامه سوى الشر.

ولكن ما هو ميدان عمله لهذا الشر؟ لقد اختار إبليس ميدان عمله، اختار آدم وذريته، فقد زاد حنقه على آدم، وهذا ما سنراه لاحقا.

ولكن ما خطة إبليس لتنفيذ ذلك؟ وما الذي سيفعله؟ سنرى.

٦ - طلب إبليس من ربه أن ينظره إلى يوم القيامة:

﴿ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤ ﴾ [الأعراف].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الحجر].

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الإسراء].

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [ص].

طلب إبليس من ربه أن يؤخره ولا يُمته إلى يوم بعث آدم وذريته من القبور، وهو وقت النفخة الثانية عند قيام الساعة. وقد أراد بذلك النجاة من الموت وهو يعلم أن الذي يطلبه لا يقع إلا بإرادة الله وقدره.

ولكن لماذا؟

لقد أراد إبليس بذلك أن يجد فسحة من الإغواء لبنى آدم

إن هذا الشرير العنيد لا ينسى أن آدم هو سبب الطرد والغضب، ولا يستسلم لمصيره البائس دون أن ينتقم. ثم ليؤدي وظيفته وفق طبيعة الشر التي تكونت فيه،فهو الإصرار المطلق على الشر، والتصميم المطلق على الغواية..

هنا تتكشف خصائص طبيعة إبليس.. شر ليس عارضاً ولا وقتياً. إنما هو الشر الأصيل العامد القاصد العنيد..إنه الدور الذي خُلق من أجله، التربص ببني آدم لغوايتهم.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٧ - استجابة الله لإبليس بإنظاره إلى الوقت المعلوم:

﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأعراف].

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾ [الحجر].

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾﴾ [ص].

لقد استجاب الله لملتمس إبليس بكل وضوح لتتحقق إرادته -سبحانه وتعالى- بأن يكون للإنسان قرين يضله ويغويه ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾[الأعراف]، فهذه سنته في خلقه.

فمشيئة الله - سبحانه - اقتضت أن يترك الكائن البشري يشق طريقه؛ بما ركب في فطرته من استعداد للخير والشر؛ وبما وهبه من عقل مرجح؛ وبما أمده من التذكير والتحذير على أيدي الرسل؛ ومن الضبط والتقويم بهذا الدين. كما اقتضت أن يتلقى الهداية والغواية؛ وأن يصطرع في كيانه الخير والشر؛ وأن ينتهي إلى إحدى النهايتين، فتحق عليه سنة الله وتتحقق مشيئته بالابتلاء، سواء اهتدى أو ضل، فعلى سنة الله الجارية وفق مشيئته الطليقة، تحقق الهدى أو الضلال.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٨ - قسَمُ إبليس لله بإغواء بني آدم بكل السبل إلا عباد الله المخلصين والشاكرين:

﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف].

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحجر].

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص].

لقد تحول الحسد في نفس إبليس إلى حقد ، وإلى تصميم على الانتقام، وإصرار على ملاحقة آدم وذريته من بعده، في كل حالة، وعلى إتيانه من كل صوب وجهة، وفي كل ساعة ولحظة. إنه يقسم بعزة الله ليغوين جميع الآدميين، لا يستثني إلا من ليس له عليهم سلطان. لا تطوعاً منه ولكن عجزًا عن بلوغ غايته فيهم! وبهذا يكشف عن الحاجز بينه وبين الناجين من غوايته وكيده؛ والعاصم الذي يحول بينهم وبينه. إنه عبادة الله التي تخلصهم لله. هذا هو طوق النجاة، وحبل الحياة.

وبذلك كشف إبليس عن هدفه، ومنهجه، وطريقته في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التعامل مع جميع الآدميين، إنها التزيين لهم في الأرض وغوايتهم، فقد عرف إبليس من قبل أن آدم مخلوق من الأرض، وأن تكوينه الأرضي هو المدخل إلى إغوائه وجعله يفسد في الأرض كما قالت الملائكة: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ ... ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة].

إلا أن إبليس عرف أيضا أن آدم فيه نفخة من روح الله ، ﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحجر]، لذلك أدرك أنه لن يستطيع غواية بني آدم في حالة اتصالهم بالله عن طريق هذه الروح فقرر قائلا: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص]، أي: المتصلين بأرواحهم بالله.

ويتضح هنا من قول إبليس معرفته بدوره وحدود هذا الدور الذي حدده الله له في منظومة خلقه، فكان رد إبليس وفق إرادة الله وتقديره، وهذا ما قرره الله بعد ذلك في رده على إبليس في قوله: ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الحجر].

ولكن لماذا كانت إرادة الله كشف إبليس هذا كله تحت نظر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وسمع آدم؟

إنها إرادة الله وتخطيطه ليعرف آدم كل هذا ويستقر في قناعته عداوة إبليس له، وهذا ما سيعلنه له ربه لاحقا، كما يعرف من الآن وذريته من بعده كيفية الخلاص من هذا العدو.

لننتظر ونرقب الأحداث التالية.

٩- إعطاء الله المشيئة لإبليس للقيام بما توعد به آدم وبنيه، وبيان مصيره ومن تبعه منهم:

﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الحجر] .

﴿ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الإسراء].

﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [ص].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هنا تأتي إرادة الله بإعطاء إبليس المشيئة بالقيام بكل ما يستطيع من غواية، ولكن مع الوعيد له ومن يتبعه من بني آدم بجهنم. كما يبين الله عز وجل تعدد وسائل إبليس وجهوده في عمله لإضلال بني آدم.

ولكن لماذا جاء هذا البيان من الله لإبليس معلنا على سمع آدم؟

إن هذا الرد موجه إلى إبليس، لكنه في الحقيقة بيان لآدم وذريته، بيان لطبيعة المعركة، مسارها ونهايتها. إنها المعركة إذن بين الشيطان وأبناء آدم، يخوضونها على علم. والعاقبة مكشوفة لهم في وعد الله الصادق الواضح المبين، وعليهم تبعة ما يختارون لأنفسهم بعد هذا البيان. وقد شاءت رحمة الله ألا يدعهم جاهلين ولا غافلين.

١٠- أمر الله إبليس بالخروج من الجنة للمرة الثانية:

﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأعراف].

إن هذا هو الأمر الثاني لإبليس بالخروج من الجنة، ومن رحمة الله، بعد توعده بإغواء آدم وذريته، ولكن هذا الأمر كان مصحوبا بتوعد الله لإبليس ومن تبعه من ذرية آدم بدخول

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

جهنم، وهذا فيه تحذير لآدم وذريته من اتباع إبليس.

ولكن لماذا جاء هذا التحذير لآدم في هذه المرة؟

في المرة الأولى لم يكن آدم قد تشكل في ذهنه عداوة إبليس له بشكل واضح، ولكن في هذه المرة من المؤكد أن آدم قد أدرك هذه العداوة من الأحداث السابقة، وهذا التحذير يزيد من إدراك آدم لهذه العداوة.

١١- بيان الله لآدم وزوجه بحقيقة الأمر(عداوة إبليس لهما) وتحذيره لهما:

﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾ [طه].

هذا هو البيان الأول الواضح من الله لآدم في نهاية عمليات مشاهدات آدم واستماعه للأحداث السابقة، حيث توجه الله لآدم وزوجه مباشرة بالخطاب بقوله لهما :إن هذا الشيطان عدو لهما، وهي العداوة التي جبل عليها إبليس لآدم.

كما حذرهما ربهما من إبليس بأنه سيكون السبب في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إخراجهما من الجنة والشقاء بالخروج منها، باتباع غوايته، بعد الهناء فيها بعدم الجوع والتعري، والظمأ والحر.

وهنا بيان أولي لآدم بمنهج الحياة، وطبيعة الطريق فيها.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الثالث
مرحلة تفاعل آدم المباشر مع إبليس

١ - أمْر الله لآدم وزوجه بأن يسكنا الجنة ويتمتعا فيها بكل شيء ما عدا شجرة فيها:

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعراف].

هنا تبدأ مرحلة جديدة لإعداد آدم للخلافة، مرحلة يمارس فيها آدم وزوجه دورهما ممارسة حقيقية، مرحلة تتصارع فيها خصائص تكوينهما الأرضي، الذي يستخدمه إبليس في إغوائه لهما، مع الخصائص العلوية المتمثلة في تكوينهما الروحي.

يتجه خطاب الله إلى آدم وزوجه، ليعهد إليهما ربهما بأمره في حياتهما؛ فقد أباح لهما كل ثمار الجنة، وأطلق لهما حرية الحياة فيها دون تدخل، بإعطائهما المشيئة في الاختيار من كل ثمار الجنة والتمتع بكل ما فيها، إلا شجرة واحدة، حذرهما ربهما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من الاقتراب منها.

ولكن لماذا هذا المباح والتمتع به؟ ولماذا هذا المحظور والنهي عن الاقتراب منه؟

إنها إرادة الله في إطلاق العنان لإشباع الرغبات والشهوات المتمثل في الخصائص الأرضية للإنسان في مقابل الرغبة في طاعة الله بعدم الاقتراب من المحظور المتمثل في الخصائص الروحية للإنسان،هذا المحظور الذي يتعلم منه الإنسان أن يقف عند حد؛ وأن يتدرب على الإرادة التي يضبط بها رغباته وشهواته، ويستعلي بها على هذه الرغبات والشهوات، فتظل هذه الإرادة حاكمة لها لا محكومة بها كالحيوان، فهذه هي خاصية «الإنسان» التي يفترق بها عن الحيوان، ويتحقق بها فيه معنى «الإنسان». إن سمو الإنسان ورفعته تكون بتحكم تكوين الروح في الإنسان في تكوينه الأرضي، ولكن عندما يتحكم تكوين الإنسان الأرضي في تكوينه الروحي هنا يكون الانحطات والتدني.

٢ - وسوسة إبليس لآدم وزوجه ليأكلا من الشجرة:

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الأعراف].

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [طه].

لقد وسوس إبليس إلى آدم وحواء بأن يأكلا من الشجرة المحرمة لتكون عاقبة ذلك أن يظهر لهما ما ستر عنهما من عوراتهما، ولم يكتف إبليس بالوسوسة، وإنما خدعهما بقوله لهما: ما نهاكما ربكما عن الأكل من هذه الشجرة إلا كراهية أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين الذين لا يموتون ويبقون فى الجنة ساكنين.

وأقسم لهما بالله إنه لهما لمن الناصحين المخلصين الذين يسعون لما فيه منفعتهما.

ولازال إبليس يوسوس لآدم ويتفانى في ذلك، فناداه باسمه ليكون أكثر إقبالا عليه، وأمكن فى الاستماع إليه، فقال: يا آدم، هل أدلك على الشجرة التى من أكل منها عاش مخلدا لا يدركه الموت وصار صاحب ملك لا يفنى، ولا يصبح باليا أبدا. وقد جاء عرض إبليس فى صورة الاستفهام، ليشعره بأنه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ناصح له وحريص على مصلحته ومنفعته.

لنقف هنا لنحلل هذا الموقف. إنها بداية التفاعل المباشر بين إبليس وآدم، تفاعل منطلقه العداوة من جانب إبليس لآدم، لقد سعى إبليس لإغواء آدم كما توعده، فسعى يلاحقه بكل السبل التي علم ضعف آدم فيها، الضعف في الجانب المادي، جانب الأكل من الشجرة المحظورة، من أجل الملك أو الخلود.

ولننظر ما نتيجة ذلك.

٣ - معصية آدم وزوجه لله وأكلهما من الشجرة نسيانا لأمر الله تحت وطء وسوسة إبليس:

﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ ... ﴾ [الأعراف:٢٢].

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [طه].

﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ [طه].

نسي آدم وزوجه - تحت تأثير الشهوة الدافعة والقسم المخدر - أن إبليس عدوهما الذي لا يمكن أن يدلهما على

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خير! وأن الله أمرهما أمرًا عليهما طاعته سواء عرفا علته أم لم يعرفاها! أمرهما بعدم الاقتراب من الشجرة المحرمة.

مع هذه النصائح والتحذيرات لم يستطع آدم أن يستمر على الاستجابة لنهى ربه إياه عن الأكل من الشجرة، بل تغلب عليه ضعفه فاستمع إلى مكر الشيطان، ونجح إبليس أخيرا فى خداع آدم وحواء حتى استجابا له، فدلاهما بغرور فأنزلهما عن رتبة الطاعة إلى رتبة المعصية، وأطمعهما فى غير مطمع بسبب ما غرهما به من القسم.

ولكن ما الآثار التى ترتبت على هذه الخديعة من إبليس لهما؟ فلننظر!

٤ - انكشاف عورتا آدم وزوجه وإحساسهما بالذنب:

﴿...فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ ... ﴾ [الأعراف:٢٢].

لما خالف آدم وزوجه أمر الله - تعالى - بأن أكلا من الشجرة التى نهاهما الله عن الأكل منها، أخذتهما العقوبة وشؤم المعصية، فاستحوذ عليهما الخوف والحياء من ربهما، فتساقط عنهما لباسهما، وظهرت لهما عوراتهما، فأخذا يفعلان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ما يفعل الخائف الخجِل عادة من الاستتار والاستخفاء حتى لا يرى، وأخذا يلزقان على أجسادهما من ورق الجنة ورقة فوق أخرى ليسترا عوراتهما.

ولكن لماذا كانت هذه النتيجة لمعصية آدم وزوجه بهذا الشكل؟

لقد كانت إرادة الله أن تكون النتيجة من عين السبب، إنها نتيجة مادية محسوسة، نتيجة طينية، إخراج من نفس المعصية، ليكون إدراكها أوقع على النفس، وأبقى أثرا في المستقبل.

إنها خطوات تتشكل فيها هذه النفس البشرية بتدبير من الله و تحت عينه.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الرابع
مرحلة التقويم

١- عتاب الله لآدم وزوجه:

﴿...وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف].

نادى الله ، عز وجل، آدم وزوجه، معاتبا وموبخا لهما بتذكيرهما بما قاله لهما من قبل بأن الشيطان عدو لهما عداوة واضحة، فلا يفتر عن إيذائهما وإيقاع الشر بهما.

ولكن لماذا هذا العتاب؟

ولماذا جاء العتاب في هذا التوقيت؟

ألم يكْف تحذير ربهما لهما من قبل؟

ولماذا جاء العتاب بهذه الصيغة؟

لقد انتاب آدم وزوجه حالة من الذهول من هول الصدمة بارتكابهما المعصية، ومخالفة تحذير الله لهما من قبل، وفي هذا الوقت يكون الإنسان في حالة عدم اتزان، وشلل فكري، ويحتاج الى من يساعده في الخروج من هول الصدمة. ولو ظل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في هذه الحالة قد ينتابه حالة من اليأس والقنوط. هنا تتدخل عناية الله ورحمته بنداء الله لآدم وزوجه، والنداء في ذاته في هذا الموقف الصعب، وفي هذا التوقيت رحمة من الله لهما، لوقف هذا الذهول والارتباك. وأما العتاب ففيه تذكير لما هو في صالح آدم وزوجه، وفيه معالجة لعملية النسيان وضعف العزم في آدم. ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه].

فكان نتيجة هذا العتاب بهذا اللطف:

٢- اعتراف آدم وزوجه بالخطأ وطلبهما المغفرة من الله:

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف].

وهنا التمس آدم وحواء من ربهما الصفح والمغفرة، إنها خصيصة «الإنسان» التي تصله بربه، وتفتح له الأبواب إليه.. الاعتراف، والندم، والاستغفار، والشعور بالضعف، والاستعانة به، وطلب رحمته.مع اليقين بأنه لا حول له ولا قوة إلا بعون الله ورحمته.. وإلا كان من الخاسرين.

وهنا يتميز الإنسان عن الشيطان بأنه ينسى ويخطئ. إن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيه ضعفاً يدخل منه الشيطان. إنه لا يلتزم دائماً ولا يستقيم دائماً.. ولكنه يدرك خطأه؛ ويعرف زلته؛ ويندم ويطلب العون من ربه والمغفرة.. إنه يثوب ويتوب؛ ولا يلح كالشيطان في المعصية، ولا يكون طلبه من ربه هو العون على المعصية!

فكان نتيجة ذلك:

٣- اجتباء الله لآدم وتوبته عليه وهدايته له:

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [طه].

كان فضل الله – تعالى – على آدم، بعد أن أكل من الشجرة، وندم على ما فعل هو وزوجه، وتابا إلى الله واستغفرا من ذنبهما بكلمات من فيض الرحمة الإلهية،أن اصطفاه ربه وقربه إليه هو وزوجه ، وتاب الله عليهما، وهو التواب الرحيم، وهداه إلى الثبات عليها.

هنا تعلم آدم من ربه كيف يتوب عن المعاصي بالكلمات التي تلقاها من ربه، وكيف يلجأ إلى الله وقت الشدائد، وأن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

له ربًا غفورًا توابًا رحيمًا يتوب عليه إذا أخلص في توبته، وتعلم ألا يقنط من رحمة الله.

إن الهداية للإنسان يلزمها قبول التوبة من الله، وقبول التوبة من الله يلزمها اصطفاء من الله وقرب منه، واصطفاء الله للإنسان وتقريبه إليه يلزمه اعترافه بالذنب وطلب المغفرة من الله.

إنها تعاملات روحية تربط بين العبد وربه ولا يستطيع إبليس أن يتدخل فيها، وهي مناط العبادة أصلا. اتصال روح العبد بربه، هو اتصالها بمصدرها، فتلوذ إلى كنف ربها، فتكون الراحة والسكينة والطمأنينة والرضا: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفجر].

إن خلاص الإنسان من خطيئته تكون بالتوبة المباشرة في يسر وبساطة. والطريق مفتوح للتوبة في يسر وبساطة ..تصور مريح صريح ، يوحي إلى كل إنسان باللجوء إلى الله وعدم اليأس والقنوط..إن الله هو التواب الرحيم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الخامس
مرحلة الخاتمة أو الغلق

وكان أمر الله لآدم وزوجه بالهبوط إلى الأرض مع إبليس، وإلقاء خطاب التكليف لهما:

﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأعراف].

﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [طه].

بعد هذا المشوار الطويل من عملية التدريب طبقا لقدر الله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتخطيطه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق]، جاء الأمر من الله لآدم وزوجه ومعهم إبليس بالهبوط إلى الأرض، مقر حياتهم الدنيوية، ومعهم خطاب التكليف، الذي اشتمل:

١- أن آدم وزوجه وذريته وإبليس كل منهم عدو للآخر.

٢- أن الأرض مستقر لحياة آدم وزوجه وذريته الدنيوية إلى حين انتهاء حياتهم الدنيوية التي قدرها الله لكل فرد.

٣- أن في الأرض متاعًا لهم في حياتهم، يتمتعون فيها كما يشاءون.

٤- أن هناك منهجا حدده الله لهم ليحيوا به في الأرض، فيه الهداية لمن يشاء منهم أن يتبعه، هذا المنهج أرسل الله به الرسل وأنزله في كتبه.

٥ - أن من يتبع هذا المنهج في هذه الحياة الدنيا فلن يضل ولا يشقى في هذه الحياة، ويجد في نفسه كل الطمأنينة والرضا والسكينة، ويحيا حياة طيبة.

٦- أن من يخالف هذا المنهج في هذه الحياة الدنيا يضل ويشقى وتكون حياته ضنكا.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٧ - أن الأرض مستقر لهم بعد موتهم، ومنها يبعثون مرة أخرى.

٨ - أن من يتبع هذا المنهج في هذه الحياة الدنيا فلا خوف عليه ولا يحزن يوم القيامة، ومصيره الجنة خالدا فيها أبدا.

٩ - أن من يخالف هذا المنهج في هذه الحياة الدنيا يحشر يوم القيامة أعمى، ومصيره جهنم خالدا فيها.

إنه منهج محدد الخطوات، واضحة معالمه، لا لبس فيه ولا اعوجاج، تم تحديده في هذه الآيات، التي جاءت في صورة خطاب تكليف لآدم وزوجه وذريتهم.

لقد وصلت التجربة لنهايتها، عرف فيها آدم مهمته، وعرف عدوه، وخصائص نفسه، وخصائص عدوه وأساليبه، وطبيعة الطريق الذي يسير فيه، وتعلم بشتى السبل كيف يسلك في غمار هذا الطريق.

لقد تكشفت خصائص الإنسان الكبرى، وعرفها هو وذاقها. واستعد - بهذا التنبيه لخصائصه الكامنة - لمزاولة اختصاصه في الخلافة؛ وللدخول في المعركة التي لا تهدأ أبدًا مع عدوه..

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل السادس
مرحلة المتابعة
(تحذير بني آدم من الشيطان كما حذر أبويهما)

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧ ﴾ [الأعراف] .

وبعد أن قص القرآن الكريم قصة خلق آدم وزوجه وتصويره ما جرى بينهما وبين إبليس، وكيف أن إبليس قد خدع آدم وزوجه خداعا ترتب عليه إخراجهما من الجنة، ثم جاء خطاب التكليف لهما، بعد كل ذلك توجه الله بالنداء لبنى آدم ليحضهم فيه على تقوى الله، ويحذرهم من وسوسة الشيطان، ويذكرهم بنعمه عليهم، وقرن ذلك بتذكيرهم بتجربة أبويهم آدم وزوجه.

لقد جاء هذا الخطاب في صورة بليغة مجسمة شبيهة بنفس الصورة التي مر بها أبواهم، صورة تُحفر في الذاكرة بكل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

آلامها وآمالها. فكان نداء الله لبني آدم: يا بنى آدم تذكروا واعتبروا واشكروا الله على ما حباكم من نعم، فإنه – سبحانه – قد هيأ لكم سبيل الحصول على الملبس الذى تسترون به عوراتكم، وتتزينون به فى مناسبات التجمل والتعبد.

ثم بين – سبحانه – أن هناك لباسا آخر أفضل وأكمل من كل ذلك فقال: ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ أى: أن اللباس الذى يصون النفس من الدنايا والأرجاس، ويسترها بالإيمان والعمل الصالح، هو خير من كل لباس حسى يتزين به البشر.لقد جاء هذا التذكير لهم ، لعلهم بعد ذلك لا يعودون إلى النسيان الذى أوقع أبويهم فى المعصية.

ثم أتبع القرآن النداء الأول بنداء آخر مبالغة فى وعظ بنى آدم، وتذكيرهم بفضل الله عليهم: يا بنى آدم، لا يصرفنكم الشيطان عن طاعة الله، بأن تمكنوه من أن يوقعكم فى المعاصى كما أوقع أبويكم من قبل فيها، فكان ذلك سبباً فى خروجهما من الجنة التى كانا يتمتعان بنعيمها.فأخرجهما من الجنة حال كونه نازعاً عنهما لباسهما.

وزيادة في التحذير، واستثارة للحذر، يُنبِّئهم ربهم أن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشيطان يراهم هو وقبيله من حيث لا يرونهم. وإذن فهو أقدر على فتنتهم بوسائله الخفية؛ وهم محتاجون إلى شدة الاحتياط، وإلى مضاعفة اليقظة، وإلى دوام الحذر، كي لا يأخذهم على غرة.

ثم بين - سبحانه - سنته فى خلقه بأن جعل الشياطين قرناء للذين لا يؤمنون، مسلطين عليهم، متمكنين من إغوائهم، وفي هذا تحذير شديد لبني آدم من الشياطين، كرره الله عز وجل مرارا وتكرارا. ففي أحداث المعركة التي تصورها القصة بين الإنسان والشيطان مُذكر دائم بطبيعة المعركة. إنها بين عهد الله وغواية الشيطان، بين الإيمان والكفر، بين الحق والباطل، بين الهدى والضلال.. والإنسان هو نفسه ميدان المعركة، وهو نفسه الكاسب أو الخاسر فيها. وفي هذا إيحاء دائم له باليقظة؛ وتوجيه دائم له بأنه جندي في ميدان؛ وأنه هو صاحب الغنيمة أو السلب في هذا الميدان!

إن هذا عقد استخلاف قائم على تلقي الهدى من الله، والتقيد بمنهجه في الحياة. ومفرق الطريق فيه أن يسمع الإنسان ويطيع لما يتلقاه من الله، أو أن يسمع الإنسان ويطيع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لما يمليه عليه الشيطان. وليس هناك طريق ثالث.. إما الله وإما الشيطان، إما الهدى وإما الضلال، إما الحق وإما الباطل، إما الفلاح وإما الخسران.. وهذه الحقيقة هي التي يعبر عنها القرآن كله، بوصفها الحقيقة الأولى، التي يقوم عليها سائر التصورات، وسائر الأوضاع في عالم الإنسان..

إن هذه التجربة كانت تربية لهذا الخليفة وإعدادًا. كانت إيقاظا للقوى المذخورة في كيانه، كانت تدريباً له على تلقي الغواية، وتذوق العاقبة، وتجرع الندامة، ومعرفة العدو، والالتجاء بعد ذلك إلى الملاذ الأمين.

لقد اقتضت رحمة الله بهذا المخلوق أن يهبط إلى مقر خلافته، مزودًا بهذه التجربة التي سيتعرض لمثلها طويلاً، استعدادًا للمعركة الدائبة وموعظة وتحذيرًا.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الباب الثاني

تأملات تربوية إيمانية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الأول

بعد هذا العرض لإعداد الله آدم للخلافة، يمكن لنا التدبر في هذا الإعداد لنستشف ما به من لمحات إيمانية وتربوية نقتدي بها في عملنا التربوي لإعداد المعلمين وتربية النشء بهذا الفيض الرباني الذي جاء في القرآن الكريم، ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ [البقرة]، ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝٨٩ ﴾ [الإسراء]، ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٧ ﴾ [الزمر].

أولا: الأنموذج التعليمي لإعداد آدم للخلافة -استراتيجياته وتحركاته:

إننا نلمح في هذا الإعداد أنه تم بتخطيط محكم، وفي مراحل متعاقبة، وكل مرحلة لها أهدافها وتمهد للمرحلة التالية لها، وتقوم على المرحلة السابقة لها في ترابط وثيق. . وهذا ما نسميه في الفكر التربوي الحديث في القرن العشرين- أي بعد أربعة عشر قرنا من نزول القرآن الكريم- بمصطلح «الأنموذج التعليمي» ، الذي يمكن استخدامه بصورة عامة في معظم عمليات التعليم. والشكل التالي يوضح هذا الأنموذج.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

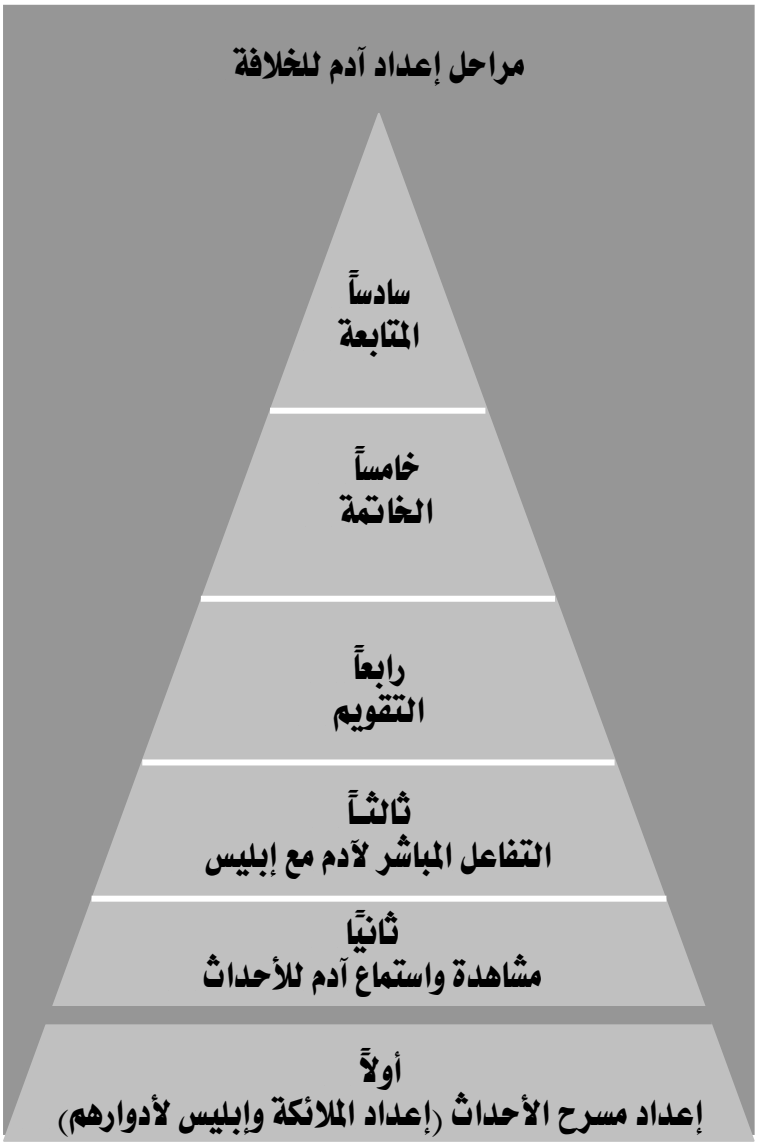

الأنموذج التعليمي لإعداد آدم للخلافة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كما أن كل مرحلة من مراحل التعليم السابقة تشمل عدة أحداث متسلسة، وكل حدث له هدفه ويمهد للحدث الذي يليه، ويعتمد على الحدث السابق له في ترابط متين. وهذا التسلسل من الأحداث يتم تسميته في الفكر التربوي الحديث الآن -أي بعد أربعة عشر قرنا من نزول القرآن الكريم- بمصطلح «الاستراتيجية التعليمية»، والتي ترتبط بموضوع تعليمي خاص، فكل مرحلة لها أحداثها الخاصة بها دون غيرها، فأحداث مرحلة المشاهدة والاستماع، تختلف عن أحداث مرحلة التفاعل المباشر، في نوع الأحداث، وعددها. وفيما يلي عرض لأحداث كل استراتيجية منهما.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

استراتيجية مشاهدة واستماع آدم للأحداث

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

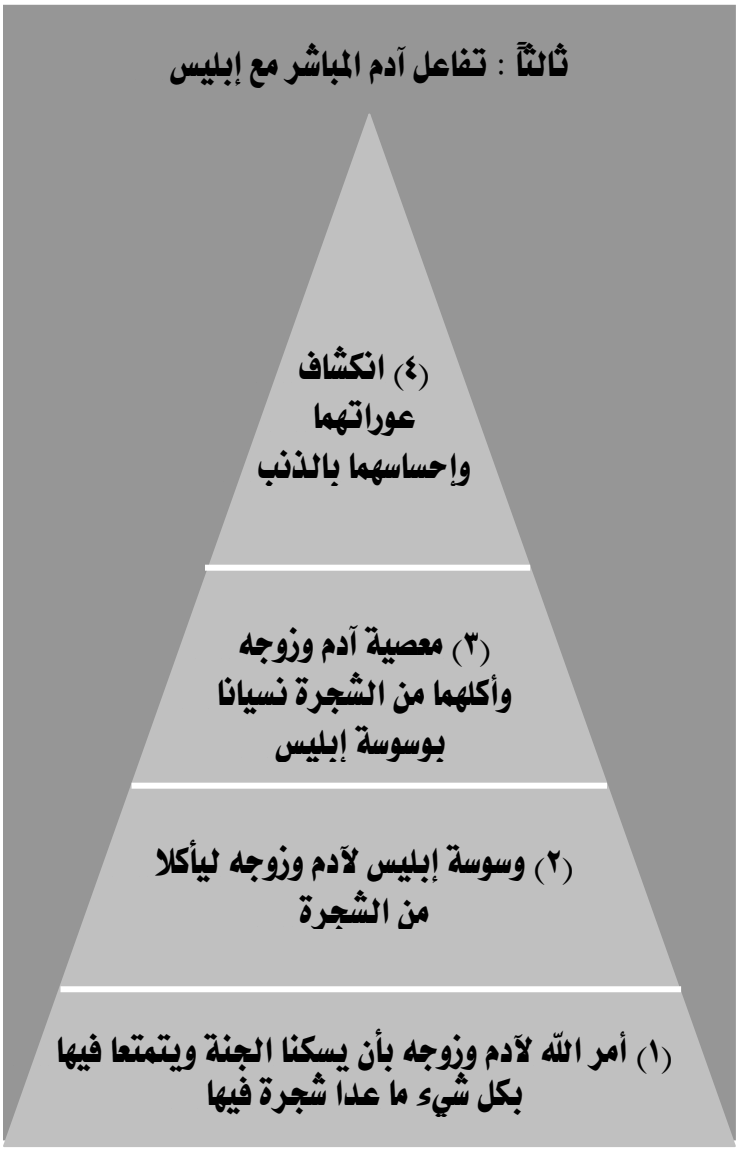

استراتيجية تفاعل آدم المباشر مع إبليس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أما كل حدث في الاستراتيجية فيسمى في الفكر التربوي الحديث الآن -أي بعد أربعة عشر قرنا من نزول القرآن الكريم- بمصطلح «تحرك move» ، فاستراتيجية تفاعل آدم المباشر مع إبليس اشتملت على أربعة أحداث، أي «أربعة تحركات moves» متتالية هي:

أ- أمر الله آدم وزوجه بأن يسكنا الجنة، ويتمتعا فيها بكل شيء ما عدا شجرة فيها.

ب- وسوسة إبليس لآدم وزوجه ليأكلا من الشجرة.

جـ- معصية آدم وزوجه وأكلهما من الشجرة نسيانا بوسوسة إبليس.

د- انكشاف عوراتهما وإحساسهما بالذنب.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثانيا: موضوع تعلم آدم للخلافة مفهوم العداوة:

إن الموضوع الذي دارت حوله عملية إعداد آدم للخلافة كان «عداوة إبليس لآدم» وهذا الموضوع كان الهدف منه تكوين وترسيخ مفهوم هذه العدواة لدى آدم، وهو الموضوع الوحيد في هذا الإعداد، مما يدل على أهميته في إعداد آدم للخلافة. وقد أخذ تكوين هذا المفهوم وترسيخه لدى آدم كل هذه المراحل وكل هذه الاستراتيجيات التعليمية بكل أحداثها.

المرحلة الأولى: مرحلة المشاهدة والاستماع:

وقد مرت هذه المرحلة بعدة أحداث كالتالي:

١-شاهد آدم سجود الملائكة، وعلى النقيض عدم سجود إبليس، مما استرعى انتباهه وتعجبه لذلك المشهد. وهذه بداية استثارة حواس آدم، بصره وعقله.

٢-سمع آدم الله عز وجل يسأل إبليس عن سبب عدم سجوده له، أي لآدم. مما جعله يدرك أن سجود الملائكة كان له، مقارنة بعدم سجود إبليس له. وهنا تزداد الإثارة، سمعا، وبصرا، وعقلا.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣-سمع آدم إبليس يبرر عدم سجوده له، بأنه خير منه، وإصراره على عدم السجود نهائيا، كما أبدى احتقاره له، بقوله لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون، وقوله: أأسجد لمن خلقت طينا. وهنا بداية تكوين مفهوم العداوة.

٤-ثم سمع طلب إبليس من الله أن ينظره إلى يوم القيامة ليحتنكن ذرية آدم إلا القليل منهم، أي: يسوسهم كالدواب الملجمة إلى المعاصي، وفي هذا احتقار رهيب لآدم وذريته. وهنا يبزغ لدى آدم إصرار إبليس على العداوة.

٥-ثم سمع موافقة الله لطلب إبليس بإنظاره إلى يوم الوقت المعلوم. وهنا يدرك آدم أن هذه العداوة ستكون مستمرة.

٦-ويعود آدم ليسمع قسم إبليس لله، وتوعده آدم وذريته بأن يضلهم بكل السبل، ويقف لهم بالمرصاد ومن كل جهة لمنعهم من عمل الخيرات، إلا العباد المخلصين. وهنا ينمو مفهوم العداوة لدى آدم.

٧-ويعود آدم ليسمع مشيئة الله لإبليس لأداء دوره في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذا الإضلال، مع بيان أن عاقبته جهنم هو ومن يتبعه. وقد كانت لغة الخطاب هذه المرة فيها قوة ووعيد ﴿ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الإسراء]. وهنا زيادة نمو مفهوم العداوة.

مما سبق يمكن ملاحظة ما يلي:

أ- لم يقتصر على حدث واحد أو اثنين لإظهار عداوة إبليس لآدم، بل كانت أحداث عديدة.

ب- إن كل هذه الأحداث السابقة كانت تظهر لآدم سلوكيات إبليس العدائية تجاهه.

جـ - ورغم اختلاف هذه السلوكيات بعضها عن بعض إلا أنها تشترك كلها في إظهار عداوت إبليس لآدم.

د- كما أن هذه السلوكيات كانت تزداد فيها صور العداوة مرة بعد الأخرى، مما يؤدي إلى نمو مفهوم العداوة لدى آدم مع مرور هذه الأحداث.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المرحلة الثانية:

ثم بعد هذا المشوار الطويل من مشاهدة آدم واستماعه لصور العداوة المختلفة التي أظهرها إبليس بأفعاله وأقواله في الأحداث الماضية، يسمع آدم خطاب ربه له مباشرة يذكر فيه مصطلح المفهوم لأول مرة: مفهوم عداوة إبليس لآدم وزوجه: إن هذا عدو لك ولزوجك، مع التوكيد بإن. وهنا توكيد لهذه العداوة من الله، بصورة تقريرية مؤكدة بإن، وهذ ما يسمى عند علماء التربية الآن بتجريد المفهوم، وذلك بإعطاء اسم له (عدو لك ولزوجك).

المرحلة الثالثة: مرحلة تفاعل آدم المباشر مع إبليس:

أي: مرحلة التطبيق، أوترسيخ المفهوم.

وقد مرت هذه المرحلة بعدة أحداث كالتالي:

١- حذر الله آدم مسبقا بأفظع سلوك عدائي سيفعله إبليس معه، ألا وهو إخراجه وزوجه من الجنة، وشقاؤهم خارجها بعد ذلك.

٢- سكن آدم في الجنة التي لم يَجُعْ فيها ولم يَشْقَ، وتمتع فيها بالنعيم رغدا وحيث شاء.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣- وسوس إبليس لآدم، ومناه بالخلود وعدم الموت، وبملك لا يبلى، أو أن يكون ملكا، إذا أكل من الشجرة التي نهاه ربه من مجرد الاقتراب منها، مخالفًا لأمر الله، الذي حذره من قبل من إبليس، وأنه سيخرجه من الجنة التي ينعم فيها إلى شقاء.

٤- نسى آدم نهي ربه له وذاق الشجرة المحرمة.

٥- انكشفت عورة آدم وزوجه، بمعصية الله، وظهر ذلك لهما في صورة مادية محسوسة، وطفقا يستران عورة الجسد بورق الجنة.

٦- عاتب الله آدم وزوجه، وجاء في هذا العتاب تقرير الله لهما بعداوة إبليس لهما للمرة الثانية.

٧- اعترف آدم وزوجه بالخطأ وطلبا المغفرة من الله.

٨- اجتبى الله آدم وتاب عليه وهداه.

٩- وفي الخاتمة يأمر الله الجميع بالهبوط إلى الأرض، مع توضيح طبيعة الحياة عليها «بعضكم لبعض عدو» وهوهو نفس الموضوع الذي تم التدريب عليه، مفهوم العداوة. مع بيان عاقبة كل سلوك.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كل هذا التدريب لتعليم آدم مفهوم واحد فقط «إبليس عدو لك ولزوجك وذريتك»، وقد مرهذ التدريب على تعلم آدم لهذا المفهوم بعمليات حسية من المشاهدة والاستماع، ثم تبعها تجريد لهذا المفهوم بإعطاء اسم له (عدو) وتلاه تطبيق عملي له انتهى بالتأكيد عليه، وإقرار حدوثه. وهذا إعجاز قرآني لتعليم المفاهيم لم يتوصل إليه علماء التربية وعلم النفس، إلا في النصف الثاني من القرن العشرين. أمثال: برونر، وجانيه، وأزبل، وغيرهما.

ثالثا: إعجاز تربوي في آية:

﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ [طه] .

في هذه الآية الواحدة القليلة الكلمات إعجاز تربوي لم أجده من قبل في أي مصدر تربوي.

ففيها ما يسمى «غلق» مرحلة المشاهدة والاستماع، بتقرير رب العزة لآدم ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾ [طه:١١٧] وهذ إجمال لكل الأحداث الماضية.

وفي نفس الآية ما يسمى «التمهيد» للمرحلة الثانية،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مرحلة تفاعل آدم المباشر مع إبليس بقول رب العزة والجلال لآدم وزوجه: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾﴾ [طه] وهذا إجمال لكل ما سيحدث في هذه المرحلة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الثاني
تأملات تربوية إيمانية

أولا : الطبيعة الطينية للإنسان:

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ﴾ [السجدة] .

تؤكد الآيات: ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ۝٧١ ﴾ [ص] ، ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ۝٣٢ ﴾ [النجم]، ثم جعل الله بعد ذلك خلق الإنسان من سلالة الطين ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ۝١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ۝١٦ ﴾ [المؤمنون].

لقد اتضح أن إبليس علم أن آدم خُلق من الطين، وأنه كان مخلوقا أجوف عندما كان صلصالا من طين، لذلك استهان به وقال: لإن سلطت عليه لأهلكته، وكان يدخل من فيه ويخرج

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من دبره، حيث لم تكن الروح قد نفخت فيه من قبل.

من هنا ندرك أنه عندما يكون الإنسان ناسيا ربه، بعيدا عنه، أي غير متصل بربه عن طريق الروح، التي هي وسيلة الاتصال الحقيقي بالله، يستطيع إبليس أن يوجهه كيف شاء. ولقد أنبأنا الرسول ﷺ بأن إبليس يجري من الإنسان مجرى الدم: عن صفية بنت حيي قالت: كان رسول الله ﷺ معتكفا فأتيته أزوره ليلا، فحدثته ثم قمت فانقلبت، فقام معي ليقلبني، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا، فقال النبي ﷺ: «على رسلكما، إنها صفية بنت حيي». فقالا: سبحان الله يا رسول الله، قال: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما سوءا، أو قال: شيئا». (صحيح البخاري).

وهنا ندرك ما كان يفعله إبليس في آدم وهو طين، وندرك العلاقة بين الحالتين: حالة آدم وهو طين بدون روح، وحالة نسيان الإنسان ربه. فغياب الروح وعدم تفعيلها بالإنسان تمكن إبليس من الوسوسة للإنسان والتأثير فيه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾[طه].

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ففي مرحلة الإعداد عندما أخبر الله الملائكة بأنه سيخلق بشرا من طين ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ ﴾ [ص]، وسيكون خليفة في الأرض، ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠] علمت الملائكة أنه سيفسد في الأرض ويسفك الدماء ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ [البقرة: ٣٠]، لعلمها بخصائص المخلوقات المخلوقة من قبل من الطين من حيوانات وغيرها والموجودة في الأرض، وتعجبت وسألت الله في فضول، كيف يكون هكذا ويكون خليفة يعبد الله ويسبحه؟!، في مقارنة بخصائصها ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [البقرة: ٣٠]، ولم تكن الملائكة قد علمت بعد أن هذا المخلوق سينفخ الله فيه من روحه، هذه الروح التي هي مصدر العبادة في الإنسان،تسبيحا وتقديسا، فكان رد الله على الملائكة أنه يعلم ما لا يعلمونه. ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة].

من كل ذلك ندرك أن إبليس قد تعلم أن عمله في إضلال آدم وغوايته لا يكون إلا في الجانب الطيني للإنسان، وهو الذي صرح بذلك في قوله لله: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحجر]. فتزيين إبليس للإنسان في الأرض يعني: تزيين ما في الأرض للجزء الطيني من تكوينه. فشهوات الإنسان الطينية من مأكل ومشرب وجنس وحب التملك والشهوة ...﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران] كلها مداخل الشيطان للغواية. وهذا ما فعله مع آدم وهو في الجنة، إذ قال له:

﴿....مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف].

﴿.....قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [طه].

فوسوسة إبليس لآدم للأكل من الشجرة، كان لتغذية الجانب الطيني لآدم بمعصية الله، وبأن مناه أمنيات الخلود، والملك الذي لا يبلى، أو أن يكون ملكا.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثانيا : الطبيعة الروحية للإنسان:

إن السؤال عن الروح كان ولا يزال من الأمور التي تشغل بال الكثيرين: ما مصدرها؟، وما طبيعتها؟، وما دورها بالنسبة للإنسان؟، وهل هذه الروح تربى، أو تقوى؟، وكيف تربى، أو تقوى؟

إن الروح، ذلك الغيب، الذي حارَتِ العقول في معرفة كينونته، إنها السر المحرق لكل مَن يحاول تفسيره مِن نبع خياله، أو من شطحات فكره، إنها العالم الذي سحر الفلاسفة فأنهكهم، ومن عالم العقلاء أخرجهم.

لقد سأل اليهود رسول الله ﷺ عن الروح فكانت الإجابة في الحديث الشريف : عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: بينما أنا أمشي معَ النبيِّ ﷺ في خَرِبِ المدينةِ، وهو يتوكأُ على عسيبٍ معهُ، فمرَّ بنفرٍ من اليهودِ، فقال بعضُهُم لبعضٍ : سَلوهُ عن الرُّوحِ ؟ وقال بعضهم : لا تسألوهُ، لا يجيءُ فيه بشيءٍ تكرهونهُ، فقال بعضُهُم : لنسألنَّهُ، فقام رجلٌ منهم فقال : يا أبا القاسمِ، ما الرُّوحُ ؟ فسكت، فقُلْت : إنه يوحى إليه، فقمت، فلما انْجَلَى عنه، فقال : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء] .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(صحيح البخاري) أي: أن الروح من شأن الله ، ومما استأثر بعلمه دونكم، فالروح أمر خاص بالله لا يعلمه إلا هو، وهو أعلم بها وهي من أمر الله تعالى وحده، فإنه لا سبيل لمعرفة أي شي عن الروح إلا من الله -تعالى.

فالروح غيب من غيب الله لا يدركه سواه.. ولقد وقف الإنسان حسيرا أمام ذلك السر لا يدرى ما هو؟ ولا كيف جاء؟ ولا كيف يذهب؟ ولا أين كان ولا أين يكون؟ إلا ما يخبر به العليم الخبير فى التنزيل. فالبشرية لا تستطيع إدراك ماهية هذه الروح، وليست في حاجة لبلوغ معرفتها، وإلا ما أحجب الله عنها ذلك عند السؤال عنها، فالله يجيب الناس عما هم فى حاجة إليه، وما يستطيع إدراكهم البشرى بلوغه ومعرفته، فلا يبددوا الطاقة العقلية التى وهبها الله لهم فيما لا ينتج ولا يثمر.

وكلمة الروح تطلق فى القرآن الكريم على أمور:

منها: الوحى، كما فى قوله – تعالى-: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾ [النحل].

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومنها: جبريل، كما فى قوله – تعالى-: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة].

وقال الله تعالى : ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء].

ومنها: القرآن، كما فى قوله – سبحانه-: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى].

ومنها: صفة لعسيى ابن مريم، كما فى قوله – تعالى-: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء].

ومنها: الفرج والقوة والقدرة، كما فى قوله – تعالى-: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف].

ومنها: الراحة والاستراحة ولذة النظر إلى وجه الله، كما فى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قوله – تعالى-: ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[الواقعة].

ومنها: الإيمان والهدى والبرهان والحكمة، كما فى قوله – تعالى-: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة].

ومنها: الروح التي نُفخت في آدم، كما فى قوله – تعالى -: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحجر].

لقد أمر الله الملائكة وإبليس، قبل نفخ الروح في آدم، بالسجود له بمجرد نفخ هذه الروح، وهذا يدل على عظمة هذه الروح، لِمَ لا؟ فهي من روح الله. فهل ندرك نحن الآن هذه العظمة وقدرها فينا، ونعمل على إجلالها فينا؟!

إن هذه الروح هي التي كانت تخفى على الملائكة وإبليس حين أنبأهم الله بأنه سيكون خليفة، فهي سر الخلافة وقدرها، وهي التي بها نعمل في الأرض خلفاء، وبدونها لا تكون خلافة. فبها تعلم آدم الأسماء كلها، وبها أنبأ آدم الملائكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بأسمائهم. فهل ندرك نحن الآن قيمة ذلك ونستخدم الروح في عملية التعلم و التعليم؟!

إن هذه الروح هي التي تميز الإنسان عن الحيوان، فقد نفخها الله مباشرة في آدم، ثم توالى نفخها في ذريته بعد ذلك كما تدل الآيات، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون]

وهذا الخلق الآخر الذي يدل على تميز الإنسان بنفخ الروح فيه، كما في الحديث الشريف: «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما أو أربعين ليلة ، ثم يكون علقة مثله ، ثم يكون مضغة مثله ، ثم يبعث إليه الملك ، فيؤذن بأربع كلمات، فيكتب : رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أم سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح ، فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينها وبينه إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار . وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل عمل أهل الجنة فيدخلها» (صحيح البخاري)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذا هو الإنسان ذو الخصائص المتميزة. فجنين الإنسان يشبه جنين الحيوان في أطواره الجسدية. ولكن جنين الإنسان ينشأ ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ ويتحول إلى تلك الخليقة المتميزة، المستعدة للارتقاء.

إن الجنين الإنساني مزود بخصائص معينة هي التي تسلك به طريقه الإنساني فيما بعد. وهو ينشأ ﴿ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ [المؤمنون : ١٤] في آخر أطواره الجنينية؛ بينما يقف الجنين الحيواني عند التطور الحيواني لأنه غير مزود بتلك الخصائص. ومن ثم فإنه لا يمكن أن يتجاوز الحيوان مرتبته الحيوانية، فيتطور إلى مرتبة الإنسان تطورًا آلياً ـ كما تقول النظريات المادية ـ فهما نوعان مختلفان. اختلفا بتلك النفخة الإلهية التي بها صارت سلالة الطين إنساناً. واختلفا بعد ذلك بتلك الخصائص المعينة الناشئة من تلك النفخة والتي ينشأ بها الجنين الإنساني ﴿ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾[المؤمنون : ١٤]. إنما الإنسان والحيوان يتشابهان في التكوين الحيواني؛ ثم يبقى الحيوان حيواناً في مكانه لا يتعداه، ويتحول الإنسان خلقاً آخر قابلاً لما هو مهيأ له من الكمال، بواسطة خصائص مميزة، وهبها له

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الله عن تدبير مقصود، لا عن طريق تطور آلي من نوع الحيوان إلى نوع الإنسان.

إن هذه الروح هي التي تجعل الإنسان يمشي على الأرض بجسده الأرضي وقلبه معلق بالسماء، فها هو حارثة يعبر عن ذلك عندما سأله رسول الله ﷺ عن حقيقة إيمانه في هذا الحديث: عن الحارث بن مالك الأنصاري أنه مر بالنبي ﷺ فقال له : «كيف أصبحت يا حارثة»؟ قال: أصبحت مؤمنا حقا، قال: «انظر ما تقول، فإن لكل قول حقيقة؟» قال: يا رسول الله، عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري، فكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها، فقال له: «أبصرت فالزم عبد نور الله الإيمان في قلبه» فقال: يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة، فدعا له رسول الله ﷺ (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد)، كما يعبر عن هذا المعنى أيضا الحديث الشريف: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، إن الله ﷻ ليباهي به ملائكته إذا كان نائما في سجوده يقول : انظروا إلى عبدي روحه عندي وجسده في طاعتي» (البدر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المنير).

ولننظر نحن ماذا يقول الساجد في سجوده؟ ألا يقول: سبحان ربي الأعلى، سبحان ربي الأعلى،...يا لها من روعة في النجوى، فهو في الأرض ويناجي ربه في السماء العلى، الأعلى من كل شيء، بأنه الأعلى. نعم، إنها مناجاة الروح.

قوة روح الإنسان:

لنقرأ القصة المشهورة: «يا سارية الجبل الجبل».

«عنِ ابنِ عمرَ عن أبيه أنه كان يخطبُ يومَ الجمُعةِ على مِنبرِ رسولِ الله ﷺ، فعرض له في خُطبتِه أنه قال: يا ساريةُ بنَ حصنٍ، الجبلَ الجبلَ، من استرعَى الذئبَ ظلَم. فتلفَّت الناسُ بعضُهم إلى بعضٍ، فقال عليٌّ: صدق والله لَيخرُجنَّ مما قال: فلما فرغ من صلاتِه قال له عليٌّ: ما شيءٌ سنح لك في خطبتِك؟ قال: وما هو؟ قال: قولُكَ: يا ساريةُ الجبلَ الجبلَ من استرعى الذئبَ ظلَم. قال: وهل كان ذلك منِّي؟ قال: نعم وجميعُ أهلِ المسجدِ قد سمعوه، قال: إنه وقع في خَلَدي أنَّ المشركين هزموا إخوانَنا فركبوا أكتافَهم، وأنهم يمرُّون بجبل، فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجدوا وقد ظفَروا، وإن

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

جازوا هلَكوا، فخرج منِّي ما تزعُمُ أنك سمعتَه، قال : فجاء البشيرُ بالفتحِ بعد شهرٍ، فذكر أنه سمع في ذلك اليوم في تلك الساعةِ حين جاوزوا الجبلَ صوتًا يشبِه صوتَ عمرَ يقول : يا ساريةُ بنَ حصنٍ ، الجبلَ الجبلَ. قال : فعدَلْنا إليه، ففتح اللهُ علينا». (السلسلة الصحيحة للألباني)

إنها الروح التي ترى وتسمع، فقد رأى عمر بروحه ما لم يره أحد في المسجد، ونطق بروحه وهو على منبر رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة، وقد سمعه سارية بروحه على بعد آلاف الأميال، وفطن بروحه المغزى من هذه الكلمات، ووفقه ربه لتنفيذ ذلك، فكان النصر من عند الله. إنها الروح التي نفخها الله فيهم. فلا عجب!

ولنقرأ هذه الآيات لندرك أن الاتصال بالله روحيا يتحقق بها ما قد لا نتصوره عقليا.

﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل] .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ترى ما الذي قصد إليه سليمان ـ عليه السلام ـ من استحضار عرش بلقيس ملكة اليمن قبل مجيئها مسلمة مع قومها؟ نرجح أن هذه كانت وسيلة لعرض مظاهر القوة الخارقة التي تؤيده، لتؤثر في قلب الملكة وتقودها إلى الإيمان بالله، والإذعان لدعوته.

وقد عرض عفريت من الجن أن يأتيه به قبل انقضاء جلسته هذه. وكان يجلس للحكم والقضاء من الصبح إلى الظهر فيما يروى. فاستطول سليمان هذه الفترة واستبطأها ـ فيما يبدو ـ فإذا ﴿ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النمل : ٤٠] يعرض أن يأتي به في غمضة عين قبل أن يرتد إليه طرفه، إنه رجل مؤمن على اتصال بالله، موهوب سرًّا من الله يستمد به من القوة الكبرى التي لا تقف لها الحواجز والأبعاد. وهو أمر يشاهد أحياناً على أيدي بعض المتصلين بالله، ولم يكشف سره ولا تعليله، لأنه خارج عن مألوف البشر في حياتهم العادية.

وهذا الذي عنده علم من الكتاب، كانت نفسه مهيأة بسبب ما عنده من العلم، أن تتصل ببعض الأسرار والقوى التي تتم بها تلك الخارقة التي تمت على يده، لأن ما عنده من

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

علم الكتاب وصل قلبه بربه على نحو يهيئه للتلقي، ولاستخدام ما وهبه الله من قوى وأسرار.

وفى ذلك ما فيه من الدلالة على شرف العلم وفضله وشرف حامليه وفضلهم، وأن هذه الكرامة التى وهبها الله – تعالى – لهذا الرجل، كانت بسبب ما آتاه – سبحانه – من علم. وهنا لا بد أن نربط بين ذلك وما أصبح عليه آدم بعد نفخ الروح فيه من قدرته على تعلم العلم – الأسماء كلها– وقدرته على تعليمها للملائكة: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [البقرة] .

وتعالوا بنا نطوف مع روح سيدنا يعقوب وهو ينكر على أولاده أن الذئب قد أكل يوسف عليه السلام : ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يوسف]. لقد أدرك بروحه كذبهم. واستمر على يقينه أعواما عديدة، إذ يذكر لهم يوسف بعد عودتهم من مصر بدون ابنه الآخر: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾ [يوسف]، فينكر عليه أبناؤه ذلك: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [يوسف]، ولكنه بروحه القوية بربها التي زودها الله بالعلم يعود ويقول: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يوسف]. إن روحه متصلة بروح الله وما زالت تتواصل مع ربها، إذ يعود ويقول بعد خروج أولاده بقميص يوسف من مصر: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ ﴾ [يوسف]، ولكنهم ينكرون عليه ذلك: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ ﴾ [يوسف] .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الثالث
وسائل الاتصال الدائم بالله وتقوية الروح

إن روح الإنسان هي وسيلة الاتصال بالله، فهي نفخة من روح الله، وبها يواصل الإنسان الاتصال بخالقه، شريطة خلو قلب الإنسان بأي عوالق أرضية. ويوضح لنا رسول الله ﷺ ذلك في الحديث التالي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُم الله فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ؛ الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي الله، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ الله وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» (صحيح البخاري).

فذكر الرجل الله وهو خالٍ من شوائب الدنيا تحقق هذا الاتصال، ويعطينا الرسول ﷺ الدليل على صحة الاتصال وتحققه بأن تفيض العين بالدمع. وما أحلى هذه اللحظات في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حياة الإنسان، ففيها غذاء لروحه باتصالها بمصدرها التي أتت منه! إنها المعية مع الله، والاتصال الدائم به.

وأذكر هنا واقعة حدثت معي أنا كاتب هذه الأحرف: ففي يوم عرفة، وعلى أرض عرفة، كنت مع فوج من الحجاج، وقبل غروب شمس عرفة بساعة تقريبا، طلب منا مرشد الفوج بأن نتصالح الآن مع أي إنسان بيننا وبينه خصومة أو جفوة، وذلك بالاتصال به عن طريق تليفون المحمول ومصالحته. ثم طلب مني (العبد لله) أن أُذكِّر الفوج بأهمية وفضل الدعاء في هذه اللحظات، فتحدثت إلى الفوج قائلا: لقد تصالحتم مع غيركم من الناس بالاتصال بهم تلفونيا، فهيا بنا نتصالح مع الله. هيا بنا نتصل بالله، نتصالح معه، فاستغربوا هذا القول، فقلت لهم: إن رسول الله ﷺ علمنا كيف نتصل بالله في حديثه عن السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله، بقوله: «ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»، وذكرت لهم أن شرط هذا الاتصال أن تخلو نفس كل واحد منكم من علائق الأرض ومن حولكم على الأرض الآن، فمن استطاع ذلك فاضت عيناه بالدمع. ثم بدأنا الدعاء حيث

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أخذ فرد الميكرفون وأخذ في الدعاء ونحن نردد من خلفه، ولم تدمع الأعين، ثم تكرر ذلك مع آخر، ولم تدمع الأعين، إلى أن أخذ الميكرفون ثالث ولكن بلهفة، وأخذ في الدعاء بصوت فيه شوق لله، ففاضت الأعين، وأخذ الجميع في البكاء مع استمرار الدعاء إلى أن غابت شمس يوم عرفة، ونحن على هذا الحال، وكل من حولنا من الأفواج الأخرى قد خرج للنفير من عرفة، ونحن في مكاننا على حالنا في بكاء، ثم قررنا أن نظل في المكان حتى انصرف الحجيج، ثم انصرفنا بعد ذلك.

يا لها من لحظات سعادة مع الله!. أخي القارئ والذي نفسي بيده، لقد فاضت عيناي وأنا أكتب لك آخر هذه السطور. إنها الروح! وما أدراك ما الروح! قل هي من أمر ربي.

وسوف نتحدث عن وسائل الاتصال بالله وتقوية الروح، والتي نتناولها من خلال المباحث التالية ، وهى تركز على الوسائل التالية :

١ – الدعاء.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٢- عبادة التدبر والتفكر .

٣- التجرد لله .

٤- محبة الله .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الأول
الدعاء

إن الدعاء هو اتصال بالله دون واسطة فقد قال الله تعالى لرسوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة].

وقد بشّر -سبحانه وتعالى- عباده بسعة فضله، وعظيم جوده وكرمه، باستجابته لدعائهم، وسماعه لطلبهم، فقال: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر].

بل حذر -سبحانه- عباده من نسيان الدعاء، وترك التضرع، والإعراض عن الالتجاء إلى الله، فقال: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [الفرقان].

وقد جاء في الحديث الشريف عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «الدعاء مخ العبادة» (رواه الترمذي)، وذلك لأن كل إنسان يدعو ربه فإن قلبه ولبه وكل مشاعره تكون حاضرة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

معه، متضرعة بين يدي الله، خاشعة له ظاهرا وباطنا، وهذه غاية العبودية لله تعالى، وهي أشرف أحوال الإنسان، وأفضلها، وأسعدها. إنه التجاء الضعيف إلى القوي، ورجاء الفقير من الغني، وتضرع من لا يملك من الأمر سببا إلى مُفتح الأبواب ومُسبب الأسباب. قال النبي ﷺ: «لن ينفع حذر من قدر، ولكن الدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل، فعليكم بالدعاء عباد الله» (رواه أحمد والطبراني). وقال عليه الصلاة والسلام: «الدعاء يردّ البلاء». (رواه أبو الشيخ عن أبي هريرة).

فيجب علينا امتثال أمر الله تعالى وأمر رسوله بالدعاء، والمسارعة إلى ما يحبه الله –سبحانه– فأكثر ما يحبه من عباده التوسل إليه والضراعة بين يديه، قال –عليه الصلاة والسلام: «ليس شيء أكرم على الله ﷻ من الدعاء» (رواه الترمذي عن أبي هريرة).

والقرآن الكريم به كثيرمن نماذج الدعاء، ورقائق من الاتجاء لله، ومناجاة الأنبياء لربهم، وصلتهم به، تلك الصلة التي لا تنقطع ما دام يربطها حبل الدعاء والنداء.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فهذا آدم عليه السلام يقع في الخطيئة فلا يجد موئلا ولا ملجأ إلا في هذا الدعاء الحزين: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف] .

وهذا نوح عليه السلام يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، حتى إذا يئس من هدايتهم، نادى ربه ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح).

وهذا سيدنا إبراهيم يناجي ربه بهذا الدعاء المؤثر النابع من أعماق القلب المتصل بالله العارف به: ﴿وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[الشعراء]

ولنتدبر هذا المقطع القرآني الرقيق يحدثنا عن أكرم رسله وهم يلوذون بخالقهم، ويلتجئون إليه:

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء].

ففي الدعاء إحساس بالافتقار والالتجاء إلى اللهﷻ والخوف من الله ، والانكسار بين يديه ، والثقة به وحده . لذلك يجب على الفرد في الدعاء أن يلح فيه ، ويتضرع إلى الله بقلب مخبت منيب ، يسأله القبول والرضا ، ويشعر بضعفه وحاجته إلى عون ربه ﷻ .

ولهذا : قالت عائشة -رضي الله عنها- لرسول الله ﷺ في قول الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ [المؤمنون : ٦٠]، أهم الذين يزنون ويسرقون ويشربون الخمر ؟

فقال : «لا يا بنت الصديق ، هم الذين يصلون ويصومون، ويتصدقون ، يخافون ألا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات». (أحمد، والحاكم).

فالانطراح على عتبة عبوديته ،انطراح الفقير الكسير

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والارتماء فى أحضان رحمته،كما كان يفعل سيد المرسلين،فعن عن ابن عباس-رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ كان يدعو ويقول:

«اللهم إنك تسمع كلامي، وترى مكاني، وتعلم سرى وعلانيتي، لا يخفى عليك شيء من أمري، وأنا البائس الفقير المستغيث المستجير، الوجل المشفق المقر المعترف بذنبه، أسألك مسألة المسكين وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، من خضعت لك رقبته، وفاضت لك عبرته، وذل لك جسمه، ورغم لك أنفه، اللهم لا تجعلني بدعائك شقيًّا، وكن بى رءوفًا رحيمًا، يا خير المسئولين، ويا خير المعطين».(أخرجه الطبراني)

وهناك العديد من الأدعية التي تهتز لها القلوب، وتتزكى بها النفوس، وتفيض لها العيون، وتخشع عندها الجوارح، وتلتقي بخالقها الأرواح على بساط العبودية الصحيحة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

استجلاب معية الله ـ الخاصة ـ بالدعاء:

وهي معية زائدة على مجرد العلم والإحاطة بكل شيء (المعية العامة)، فهي دالة على النصرة والتأييد ودليلها: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل] فمعيته سبحانه للمتقين والمحسنين معية خاصة تقتضي النصرة والتأييد ، والعون والتوفيق، فضلاً عن العلم والإحاطة والسمع والبصر.

وبعبارة أخرى: فمع كونه تعالى عالماً محيطاً سميعًا بصيرًا بالمتقين والمحسنين، إلاّ أنه كذلك ناصر لهم ومؤيد وظهير.

فقد جاءت معية الله الخاصة: للصابرين، والمؤمنين، والمتقين، والمحسنين، المجاهدين... في عدة آيات، منها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [البقرة] ، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأنفال]، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [التوبة]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل]، ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت]، ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾ [محمد]، ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ءَامَنُواْ...﴾ [الأنفال: ١٢].

إن مرحلة استجلاب معية الله هي الحلقة الأضعف في حياتنا . فكثيرا ما تنسينا القدرات والخبرات والمواهب الخاصة مرحلة استجلاب معية الله . كثيرا ما نعتمد على مواهبنا وننسي الواهب . كثيرا ما نعتمد على قدراتنا وننسى القادر . كثيرا ما نعتمد على قوتنا وننسى القوي . وهنا نخسر الكثير .

ففي يوم حنين بذل المسلمون الجهد في إعداد المدد المادي الهائل : العتاد ، العدد ،العدة ، الكثرة في عدد الجند حتى اكتمل الهيكل العام للجيش على صورته المبهرة، حتى دخل العجب لقلوب البعض فقالوا : «لن نهزم اليوم من قلة».

أنستهم القوة والعدة مرحلة استجلاب معية الله.

أنساهم العدد والعتاد الاتكال على الله .

أنستهم قدراتهم البشرية استجلاب معية الله والاتكال عليه وحده لا على تلك الأسباب . لقد أتقن المسلمون يوم حنين مرحلة الإعداد ولم يتقنوا مرحلة الاستجلاب فكانت الانكسارة . كانت الانكسارة التي كان لابد منها لتعي الأمة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أن مرحلة استجلاب معية الله من المراحل التي لا غنى عنها في حياة الأمم والأفراد والجماعات . كما وأنها سند كل إنسان في هذا الوجود مهما كانت قدراته ومواهبه .

و رسولنا ﷺ وهو صاحب المواهب والقدرات التي لا تحصى ولا تعد، إضافة إلى كونه المؤيد بالمعجزات ، والمزود بالكاملات، والمحلى بالمدد الرباني كان دائما ما يردد : «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أدنى من ذلك» (أبو داود).

ففي يوم بدر بذل المصطفى ﷺ الوسع في الإعداد : فصف الجيش ، وعبأ الجند ،ورسم الخطط ، وافترض الافتراضات ، واحتمل الاحتمالات، حاور، وتشاور وغير وبدل . وما أن انتهى من الاستفادة من كل هذه الإمكانات والقدرات المتاحة حتى انتحى ﷺ يناجي ربه في دعاء عميق ، ومناجاة حارة ، وإلحاح شديد يستجلب بها معية الله .

ابتهل ﷺ وبالغ في الابتهال حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فرده عليه الصديق رضي الله عنه وقال : حسبك يا رسول الله ، ألححت على ربك . يا رسول الله، كفاك مناشدتك ربك . ولكن رسول الله ﷺ كان خير من يعلم أنه إذا ما امتزجت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

معية الله القادر بمواهب العباد وقدراتهم -مهما كانت محدودة - فحتما سينتج عن ذلك مخرجات تفوق قدراتهم على استيعاب آثارها الإيجابية اللامحدودة .

وقد كان جاء مدد السماء بطريقة فاقت عقول أهل الأرض، وامتزج المدد الروحي بالمدد المادي، وجاء النصر وتحقق الفوز لفئة لم تتكل على قدراتها ولا على مواهبها دون الاتكال على الله، ولم تتكل على الله دون الاستفادة القصوى من قدراتها ومواهبها وخبراتها .(أراد الله للعصبة المسلمة أن تصبح أمة ؛ وأن تصبح دولة ؛ وأن يصبح لها قوة وسلطان ... وأراد لها أن تعلم أن النصر ليس بالعدد، وليس بالعدة، وليس بالمال والخيل والزاد، إنما هو بمقدار اتصال القلوب بقوة الله التي لا تقف لها قوة العباد.) كما يقول صاحب الظلال .

إن إحساس المؤمن بحفظ الله له، ويقينه أنَّ الله معه؛ يَسمعه إذا شكا، ويُجيبه إذا دعا، ويأخذ بيده إذا كبا، ويمدُّه إذا ضعُف، ويعينه إذا احتاج، ويلطف به إذا خاف، كلُّ ذلك من أسباب ارتياح النفس وانشراح الصدر، وطمأنينة القلب وتيسير الأمر، وطيب العاقبة في العاجل والآجل؛ فإنَّ ثقة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العبد بربِّه، ويقينه بأنه - سبحانه - المتولي لأموره، وأنه - تعالى- سائقُ كلِّ خير، وكاشفُ كل ضر ، لا تتركه نهبًا للوساوس والأوهام، ولا تلقيه في بيداء اليأس من روح الله، أو ظلمة القنوط من رحمة الله؛ بل تجعله يضرع إلى الله - تعالى - عند كلِّ نازلة، ويستجير به عند كل مصيبة، ويشكره ويذكُره، ويحمده عند كلِّ نعمة ورحمة، فيتَّجه إلى الله في سائر أحواله، داعيًا متضرعًا موقنًا بالإجابة، منتظرًا للفرج من الله، لا يتَّجه إلى غيره، ولا يُنزل حاجتَه بسواه: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل: ٦٢]، فيتذكَّر ربَّه في كلِّ أحواله ذاكرًا وشاكرًا على السرَّاء، وصابرًا ضارعًا منتظرًا للفرج عند الضرَّاء، ويسأل الله أن يجود عليه بحفظ النعماء، والعافية من البلاء، واللطف في القضاء.

إن المعية لكلِّ مَن اتقى الله في سرِّه وعلنه، وأحسن ابتغاء وجه الله في قوله وعمله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل]، وهي المعيَّة الخاصة التي مقتضاها العون والتسديد، والحفظ والتأييد، واللطف بالعبيد، ومَن كان الله معه فقد آوى إلى ركنٍ شديد.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن عُدَّة المؤمن في سيْره إلى ربه التوكلُ على الله؛ الذي حقيقته الاعتماد على الله في حصول ما ينفع العبدَ في دينه ودنياه، ودفع ما يضره، مع تفويض الأمر إليه تعالى، وانجِذاب القلب إليه محبَّة له، وثقة به، واعتمادًا عليه، وتكميل ذلك بمباشرة ما شرعه الله - تعالى - من أسباب توصِّل إلى المقاصد، وتُحمد بها العوائد، فإنَّ التوكل للمؤمن من خير الخصال، وجليل الأعمال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾ [الأنفال].

وجزاؤهم من الله الكفاية، فمَن توكَّل على الله كفاه: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣ ﴾ [الطلاق]؛ أي: كافيه: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٣٦].

كيفية الدعاء وأحواله وأوقاته وآدابه:

١- الإخلاص لله تعالى، والوضوء، واستقبال القبلة، والجثو على الركب، والتوبة إلى الله، والاستغفار، ورد المظالم إلى أهلها: قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [هود]. وعن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «اجثو على الركب، ثم قولوا: يا رب يارب» (رواه أبو عوانة والبغوي).

٢- رفع اليدين حذو المنكبين، وبسطهما مكشوفتان إلى السماء، بسط التذلل والتمسكن والاستجداء، ثم مسح الوجه بهما بعد انتهاء الدعاء: عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «سلوا الله ببطون أكفكم، ولا تسألوه بظهورها، فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم» (رواه أبو داود والبيهقي).

وعن أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه في الدعاء. (رواه مسلم).

وعن عمر ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ: «إذا رفع يديه في الدعاء لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه» (رواه الترمذي).

٣- حضور القلب مع الله، وتحسين الظن والرجاء به سبحانه، والخضوع بين يديه، والتيقن من استجابته وكرمه وأنه سميع قريب مجيب: قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال فيما يرويه عن ربه: «أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي الظن الحسن» (رواه مسلم والحاكم). وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب من قلب غافل لاه» (رواه الترمذي والحاكم).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدّخر له، وإما أن يكف عنه من السوء بمثلها»، قالوا: إذن نكثر. قال: «الله أكبر». (رواه ابن عبدالبر).

٤- لزوم الدعاء والإكثار منه، والالتجاء إلى الله في كل الأمور، كبيرها وصغيرها، جليلها ودقيقها.. لأن الدعاء هو غاية الاستعانة بالله، ومطلق العبودية لله، وإظهار الفاقة إلى الله: قال تعالى حكاية عن عباده الصالحين: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر].

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وعن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السموات والأرض». (رواه أبو يعلى والحاكم). وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها، حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع» (رواه الترمذي).

٥- خفض الصوت بالدعاء، وغضّ البصر وعدم رفعه إلى السماء: قال تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾ [مريم]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠] أي: بدعائك. (متفق عليه). وعن أبي موسى ﷺ قال: لما غزا رسول الله ﷺ خيبرا أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير: الله أكبر لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس، اربعوا على أنفسكم ـ أي: أرفقوا بها ـ فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، وإنكم تدعون سميعا بصيرا قريبا وهو معكم» (متفق عليه).

٦- الإلحاح في الدعاء، وتكراره ثلاثا: عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ: «كان إذا دعا دعا ثلاثا، وإذا سأل سأل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثلاثا. (رواه البيهقي).

٧- الجزم بالدعاء، والثقة بالله، والعلم بأنه سبحانه يجيب الدعاء مهما كان عظيما أو صعبا، فهو القادر أن يجعل من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ومن كل شدة ظفرا ونصرا: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «لا يقل أحدكم إذا دعا: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة فإنه لا مكره له» (متفق عليه).

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء» (رواه ابن حبان).

٨- عدم التكلف في الدعاء، وترك السجع فيه، وتعلم المأثور منه في الكتاب والسنة: عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ ، يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك. (رواه أبو داود).

٩- افتتاح الدعاء بحمد الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله، والصلاة والسلام على نبيه ﷺ واختتام الدعاء بمثل ذلك: قال أبو سليمان الداراني: من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي ﷺ، ثم يسأله حاجته، ثم يختم بالصلاة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على النبي ﷺ، فإن الله عز وجل يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما.

عن فضالة بن عبيد ﷺ قال: سمع رسول الله ﷺ رجلا يدعو في صلاته لم يمجّد الله تعالى. ولم يصلّ على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «عجل هذا» ثم دعاه فقال له ـ أو لغيره: «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه سبحانه والثناء عليه، ثم ليصل على النبي ﷺ، ثم ليدع بما شاء». (رواه الترمذي وأبو داود). عن ابن مسعود ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «لا تجعلوني كقدح الراكب، يجعل ماءه في قدحه، فإن احتاج إليه شربه وإلا صبه، اجعلوني في أول الدعاء، وفي وسط الدعاء، وفي آخر الدعاء» (رواه ابن النجار).

وعن علي ﷺ عن النبي ﷺقال: «الدعاء محجوب عن الله حتى يصلى على محمد وأهل بيته» (رواه أبو الشيخ).

١٠- التأمين على دعاء النفس وعلى دعاء الغير: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دعا أحدهم فليؤمن على دعاء نفسه» (رواه ابن عدي).

وعن حبيب بن سلمة الفهري ﷺ قال: قال رسول الله

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ﷺ: «لا يجتمع ملأ فيدعو بعضهم، ويؤمن بعضهم إلا أجابهم الله تعالى» (رواه الطبراني).

١١- تجنب الاعتداء في الدعاء، والحذر من الدعاء على النفس أو الأهل أو الولد أو أحد المخلوقات: قال تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء]، وقال ﷻ: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس: ١١] ، (وهو دعاء الرجل على نفسه وماله وأهله بما يكره أن يستجاب)، وعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافق من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجاب لكم» (رواه أبو داود).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمّنون على ما تقولون» (رواه أحمد ومسلم وأبو داود) .

١٢- تجنب استبطاء الإجابة، واليأس والقنوط من قضاء حاجته، ثم استصغار شأن الدعاء، وعدم الاهتمام به، ثم تركه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعد ذلك: عن جابر ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «إن جبريل موكل بحوائج بني آدم. فإذا دعا العبد الكافر قال الله تعالى: يا جبريل، اقض حاجته، فإني لا أحب أن أسمع دعاءه، وإذا دعا العبد المؤمن قال: يا جبريل احبس حاجته، فإني أحب أن أسمع دعاءه» (رواه ابن النجار).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الدعاء يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل»، قيل: يا رسول الله، وما الاستعجال؟ قال: «يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء» (رواه مسلم).

١٣- ترصّد الأوقات المباركة والأزمان الكريمة، واغتنام المواسم والحالات الشريفة والأمكنة الطاهرة المقدسة، للتضرّع والدعاء، كأوقات السحر، والجمع، ورمضان، وعشر ذي الحجة، ويوم عرفة، وبعد الصلوات، وعند الإفطار، وفي السجود.. وحالات رقة القلب وإقباله على الله تعالى: وفي المسجد الحرام والمسجد النبوي وبيوت الله: قال تعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل الله تعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول ﷻ : من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له» (متفق عليه).

وعن أبي أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «نفتح أبواب السماء ويستجاب الدعاء في أربعة مواطن: عند التقاء الصفوف في سبيل الله، وعند نزول الغيث، وعند إقامة الصلاة، وعند رؤية الكعبة» (رواه الطبراني).

وعن أبي موسى ﷺ أن النبي ﷺ قال: «من كانت له إلى الله حاجة فليدع بها دبر كل صلاة مفروضة» (رواه ابن عساكر).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء» (رواه مسلم).

وعنه ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب تبارك وتعالى:

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وعزتي وجلالي لأنصرنّك ولو بعد حين» (رواه الترمذي).

١٤- الإكثار من الدعاء والتوسل إلى الله تبارك وتعالى في أوقات اليسر والرخاء، ليستجيب الله تعالى له في أوقات العسر والشدة والضراء: قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من سرّه أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب، فليكثر الدعاء في الرخاء» (رواه الترمذي والحاكم).

١٥- تجنّب الحرام في المطعم أو الملبس أو المسكن أو المشرب، فإن الله سبحانه وتعالى طيب ولا يقبل إلا طيبا.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[المؤمنون]. وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنَّى يستجاب لذلك» (رواه مسلم والترمذي).

١٦- سؤال الله تعالى ودعاؤه بأسمائه الحسنى، والثناء عليه وتمجيده بصفاته العليا: قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف ١٨٠]. وقال سبحانه: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].وعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ألظّوا ـ أي: ألحوا ـ بيا ذا الجلال والإكرام» (رواه الترمذي).

وعن مسلمة بن الأكوع ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ: «يستفتح دعاؤه بسبحان ربي العلي الأعلى الوهاب» (رواه الحاكم وأحمد).

وعن أبي أمامة ﷺ قال: قال النبي ﷺ : «إن لله ملكا موكلا بمن يقول: يا أرحم الراحمين. فمن قالها ثلاثا قال الملك: إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك» (رواه الحاكم).

١٧- الإكثار من الدعاء لأهله وأرحامه وإخوانه وجيرانه وأصدقائه، ولمن أوصاه بالدعاء؛ لينال مثل ما دعا به دعوة من الملك: قال تعالى حكاية عن سيدنا موسى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [الأعراف].

وعن أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «دعاء المرء المسلم مستجاب لأخيه بظهر الغيب، عند رأسه ملك موكل به كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك: آمين ولك مثل ذلك» (رواه أحمد ومسلم وابن ماجه).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثاني
عبادة التدبر والتفكر

إن أول ما نزل من القرآن الكريم على رسوله الكريم ﷺ في غار حراء: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤﴾ [العلق]، إنه أمر من الله بقراءة الكون فهو كتاب مفتوح، جعله الله تبارك وتعالى ليُقرَأ بكل لغة وبكل لسان، ويدرك بكل الحواس وبأي وسيلة للوقوف على صنع الله الذي أتقن كلّ شيء، والذي أعطى كل شيء خلقة ثم هدى. هذا الإبداع الرباني الذي ينطق بعظمة الخالق جل وعلا؛ السماء وارتفاعها واتساعها، وما فيها من مجرّات دائرة وكواكب نيرة ونجوم زاهرة، والأرض وانبساطها وانخفاضها، وما فيها من جبال وبحار وثمار وأشجار وأنهار وإنسان وحيوان، تجعل القلب ينطق قبل اللّسان ، قال تعالى : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ۝١٦٣ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَٱلْأَرْضِ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ [البقرة].

لقد كانت عبادة التفكر دأب النبي ﷺ منذ تحنثه وهو شاب في غار حراء ، يتأمل ملكوت السماوات و الأرض، ينظر إلى كل ما حوله من طبيعة غضة رائقة لا يشوبها ما صنعت يد البشر، و من سماء صافية لا يحجبها سقف و لا حجب، و من نجوم ساطعة لا يطغى على نورها ما أوقده الناس من نيران أو مصابيح. فما الذي يمكن أن يتعلمه حينها ذلك المتدرب في معهد النبوة فوق ما ذُكر من الصبر و الرحمة. ألا يدعوه ما يرى من حوله إلى التفكر في سنن الكون وحقيقة الخلق، بل و في وجود الخالق الأعظم و أسرار عظمته وحكمته في خلقه. إنها مدرسة التأمل و التفكر حين يتجرد الإنسان من زخرف الدنيا ومن أغلالها، ويصفو الذهن من مغرياتها وهمومها وتخلو النفس بنفسها وتنفرد الروح بعالمها فلا حديث يُقطع به الوقت ولا رفيق ينشغل معه في جد أو هزل.

ولقد ظل التدبر والتفكير ديدن النبي ﷺ حتى لحق بالرفيق الأعلى ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : لما كان ليلة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من الليالي قال : «يا عائشة، ذريني أتعبد الليلة لربي» ، قلت : والله إني لأحب قربك وأحب ما سرك، قالت : فقام فتطهر ثم قام يصلي، قالت : فلم يزل يبكي حتى بل حجره، قالت : ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل لحيته، قالت : ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال : يا رسول الله، لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر ؟ قال : «أفلا أكون عبدا شكورا، لقد نزلت علي الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها» ، ثم قرأ : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران]. (رواه ابن حبان في صحيحه (٥٢٣)، والألباني في السلسلة الصحيحة ١ / ١٠٦) .

كما كان التفكر هو طريق إبراهيم إلى ربه ودليله إلى اليقين.

لنرجع إلى القصة كما ذكرها القرآن الكريم : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنعام].

ولقد هدى الله سيدنا إبراهيم بهذا المنهج في التفكير والتدبر إلى مقارعة النمرود وإبطال حججه الواهية، وتلك الآيات تقص علينا ذلك: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾[البقرة].

كما أن هذا التدبر والتفكر قد دفع سيدنا إبراهيم إلى طلب المزيد من التعلم، فسأل ربه عن كيفية إحياء الموتى، كما ندرك ذلك من الآية: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ [البقرة].

فعبادة التفكر هي عبادة الأنبياء، ودرب الأتقياء، ونور وبرهان للاهتداء، فيها العبرات والعظات وبحر من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخيرات، وفيها اليمن والبركات .

فقد أمر الله – سبحانه – بالتفكُّر والتدبر في كتابه العزيز، وأثنى على المتفكِّرين بقوله : ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران]، وقال – سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الرعد].

ونعى – سبحانه – على الغافلين عن النظر والتدبر في كونه، فقال ﷻ : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج]، وقال – سبحانه وتعالى :﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [يوسف]، ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت] تفكر في نشأة الكون و بدء خلق البشر وغيرهم من سائر المخلوقات، ﴿ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [سبأ] تفكر في صحة الرسالة، ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النحل] تفكر في آيات الله الشرعية و ما نزل من الوحي و الأحكام.

والآيات كثيرة لا يكاد يحصيها الحصر، لا تفتأ تدعونا للتفكر و التدبر في آيات الله جميعاً مما نرى حولنا و مما أنزل إلينا، التفكر في سنن الله جميعاً في الأرض كانت أو في الساء الدنيا أو في السماوات العلا، في عالم الغيب جرت أو في عالم الشهادة، في أنفسنا بطبيعتها الجسدية أو صورتها الروحية، التفكر في كل ما يجرى بين الناس من محبة و عداوة و سلم وحرب، و ما يجري عليهم من يسر و عسر و رخاء و شدة وصحة و مرض. ما من مجال يخرج عن دائرة التفكر محسوس أو متصور، منقول أو معقول، شاهد أو غائب. ما من شيء غير ذات الله العلية إلا و للتفكر فيه نصيب، بهذا نزل القرآن، وهكذا كانت سنة الأنبياء حين كانوا لا يزالون في طور الإعداد، و كفى به إعدادًا، أو بعد أن جاء الوحي و نزلت عليهم الرسالة.

والتفكر من العبادات التي كاد الناس أن يهجروها ، مع أن آيات الله في الكون لا تعد ولا تحصى ، ففي كل شئ له آية

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تدل على أنه الواحد ، وكما قال سبحانه في كتابه العزيز ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت].

مفهوم التدبر والتفكر:

التفكُّر سياحة نورانية ورياضة إيمانية؛ ينطلق فيها القلب في وعي، والعقل في يقظة معاً بعيدًا في ساحات الإيمان بلا قيد من جواذب الأرض وقيود الشهوات؛ ليجتمعا على التقاط الحكمة والمعرفة وتحقيق معاني الإيمان والترقي في درجات العبودية .كلُّ ذلك في عملية فريدة تغذِّي العقل بالحكمة وتقوي القلب باليقين وتُعِين الجوارح على إحسان الطاعة؛ فتجمع مع عبادة الباطن عبادة الظاهر ومع حركة القلب نشاط العقل .

والتفكُّر فرصة عظيمة لاكتشاف مساحة بعيدة شديدة العمق في النفس الإنسانية، يصعب الوصول إليها في غير تلك الأجواء النفسية الصافية، التي تمتزج فيها أنوار التدبر مع صفاء النفس حتى تصل إلى حقائق العبودية، بما فيها من ضَعْف وعَجْز وذلة وعَوَز، ومشاهدة كمالات الربوبية بما فيها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من: كمال وجمال وجلال .

والتفكر يبدأ بعمليات سهلة بسيطة؛ يلتفت فيها القلب إلى عظيم الآيات المبهرة وعظيم قدرة الله في خَلْقه، وجلاله في فِعْلِه وتدبيره، في عملية يسيرة لا تحتاج في بدايتها لكبير مجاهدة، ترتقي إلى درجات أعلى في معانيها وأعمق في تأثيرها، لا يتمكن من الوصول إليها إلا بنوع من المجاهدة ولا يستطيعها إلا من رُزق حظاً من البصيرة وقِسْطاً من السموِّ الروحي، وفيها يتجاوز المؤمن بنور بصيرته نور بصره، ويتجاوز ظواهر الأشياء إلى حقائقها، ويرى فضل المنْعِم من وراء النعم، ويشاهد عظيم قدرة الله في كل حركة وسكنة في الكون، ويجمع من عجائب آيات الكون والنفس وعظيم حكمة الشرع؛ فينصب من جميعها شواهد على جلال أسماء الله وصفاته وعظيم قدرته وحكمة تقديره.

وليس المقصود من تدبُّر آيات الكون الوقوف عند ظواهرها فقط، بل إدراك تلك الحقائق الضخمة التي تقف وراء هذا الكون العظيم، والتي تُحدِث تلك النقلة الاعتبارية المقصودة من التفكُّر عند أولي الألباب، وتتحول بهم من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقوف على عَظَمَة الخَلْق إلى عَظَمَة الخالق؛ فيلقي في النفس التعظيم لهذا الخالق المبدع وتلهج الألسنة بذكر ربها : ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[آل عمران].

والتفكُّر بمعناه الواسع ودوائره المتعددة التي تشمل النظرَ في آيات الله الكونية، والتفكُّرَ في آيات الله المقروءة في كتابه الكريم، والتدبرَ في عظيم فِعْل الله وبديع تدبيره وسنن الله في كونه، يُعدُّ في وسائل التزكية وخطوات التربية وسيلةً هامة وخطوة كبيرة لبناء نَفْس مزكَّاة، وبدونه تتحول النفوس إلى نسيج هشٍّ، والعقول إلى مستودعات خاوية، وتغيب عن القلب حقيقة العبودية.

ويكفي في شرف التفكُّر، وعظيم قَدْره، ومسيس حاجة المؤمنين عامة والدعاة الربانيين له خاصة، أن أصول أعمالهم ورأس مالهم الذي عليه تُبنى ربانيتهم: من تلاوة، وقيام، وعِلْم، وذِكْر، لا تكمل ولا تثمر بدون نوع تفكُّر يسري فيها كسريان الروح في الجسد؛ فيستجلي به العبد من التلاوة مقاصد الرب من كلامه، ويفجر به معاني العبودية في قيامه، ويستعين به على تحقيق مقصد العلم من العمل.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يقول الإمام ابن القيم حين يصف التفكُّر وعظيم شرفه: «تفكُّر ساعة خير من عبادة سنة؛ فالفكر هو الذي ينقل من موت الفطنة إلى حياة اليقظة، ومن المكاره إلى المحاب، ومن الرغبة والحرص إلى الزهد والقناعة، ومن سجن الدنيا إلى فضاء الآخرة...».

لذلك كان التفكر من أفضل العبادات، لما له من آثار طيبة في حياة الإنسان والتي منها :

١- **التعرف على الله:** هو المقصود الأسمى والمطلوب الأهم من عبادة التفكُّر، وهو الغاية الجامعة لما سواها من غايات التفكُّر، وما سلك العابدون طريقاً إلى ربهم أسرع ولا أرحب من التفكُّر .

إن تعويد القلب على التفكُّر في كون الله - عز وجل - وما بثه فيه من آيات، والنظرِ بعين القلب لآثار أسماء الله وصفاته وحكمة أفعاله وواسع قدرته، يستنبت في القلب معاني التوحيد، ويستفيد منه العبد معرفة الرب وجلال عظمته .

فالعبد إذا سرح في رياض الأسماء والصفات وتأمَّل آثار

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

صفات جلال الرب وكماله، ينشرح صدره ويذوب حياءً وحباً؛ لِمَا يرى من واردات أنوار الإحسان والعفو والستر والرحمة، ويقشعر قلبه خوفاً ويذوب خشيةً عندما يطيل النظر في معاني أسماء البطش والقهر والجبروت .

٢- **أن التفكر في الكون يكشف عن عظمة الخالق في خلقه** ، ويجعل المرء يقر بوحدانية الله تعالى ، ويتواضع لعظمته، ويحاسب نفسه على أخطائها فيزداد إيماناً وصفاء.

سئل أعرابي عن الدليل فقال : البعرة تدل على البعير . والروث على الحمير ، وآثار الأقدام على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج ، أما تدل على الصانع الحليم العليم القدير؟. قال سبحانه : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف : ٨٧].

٣- **أن التفكر في الكون يورث الحكمة، ويحيي القلوب،** ويغرس فيها الخوف والخشية من الله عز وجل. فما طالت فكرة امرئ قط إلا علم، وما علم امرؤ قط إلا عمل، ولو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله عز وجل، والفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤- **إحسان العمل ودوامه**: إن استدامة التفكُّر الذي يجمع بين وعي العقل وحضور القلب تصل بصاحبها إلى حُسْن الفهم عن الله، المورِّث للعلم الحقيقي الذي هو قناعة العقل، واطمئنان القلب، وانقياد الجوارح.

قال وهب بن منبه: «ما طالت فكرة امرئ قط إلا فَهِم، وما فَهِم إلا علم، وما علم إلا عمل» فَهْمٌ موصل لعلم، وعلم محفِّز لعمل: حلقة متشابكة يوصل بعضها لبعض بلا انقطاع ولا توقُّف عند ظاهر العلم أو غياب عن مقصد العمل.

٥- **هَجْر الذنوب**: التفكُّر في عَظَمَة الله وواسع قدرته وعظيم بطشه وشديد انتقامه، يورث القلب خوفاً مزعجاً، وخشية تحول بينه وبين شهوات نفسه وأهوائها؛ فالأثر النوراني لهذا التفكُّر يعرقل عمل الشهوات في القلب، ويدفع أهواءها على حسب قوة الوارد من أنوار التفكُّر؛ فتُسْلَب الشهوة من عاجل لذتها فما يتبقى منها سوء عاقبتها.

فالإنسان تتصاغر إليه نفسه عند تذكُّر ذنوبه والتأمل في حال نفسه وعظيم تقصيره، مع تذكُّر عظيم نِعَم الله عليه،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وواسع عطائه وفَضْله، وجميل آياتـه في خَلْقـه، وتقـدير رِزْقـه وتدبير أموره؛ فيستشعر القلب عظـيم المنـة، ويلهـج اللـسان بالشكر والثناء على المنعم.

٦- **استجلاء حقائق الإيمان والتحقق بها** : التفكُّر يكشف للقلب ما حُجب عنـه بـسبب الـذنوب مـن معـاني الإيـمان، ويجلب كلُّ نوع من أنواع التفكُّر للقلب مـشهدًا مـن مـشاهد الإيمان وحقيقة من حقائقه؛ فتظل معاني الإيمان وحقائقه: من يقين وخشية، وحب ورجاء، وتـوكُّل وإنابة، تلوح للقلب في جَوْلات التفكُّر، وكلـما كـان التفكُّـر في حـضرة مـن القلـب وحضور من العقل، كانت حقائق الإيمان أكثر وضوحاً وأشد تأثيرًا.

٧- **رقة القلب** : حينما تـستمر جَـولات التفكُّـر وتتنـوع دوائرها؛ فإن ذلك يورث القلب رقة وإخباتاً لما ينطبع فيه من مشاهد العَظَمَة والقـدرة والقهـر التـي تطـرد دواعـي الكـبر والعُجْب، وتستنبت بـذور الـذل والتواضـع، ومـن مـشاهد العفو والرحمة والإحسان والجود ما يـستمطر أسـباب الحيـاء والشكر؛ فيندفع مع كل مشهد من مشاهد التفكُّر، وكل جَوْلة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من جَولاته، باعث من بواعث الشر، ويستجلب باعثاً من بواعث الخير، ولا يزال القلب في ميدان التفكُّر يدافع الشر ويستجلب الخير، حتى يبلغ من الرقة ما يكون معه على حال كريمة قريباً من الله قريباً من رحمته .

٨- **حب لقاء الله**: فالإنسان حين يسرح بفكره في رياض الجنة؛ فيرى بعين قلبه أنهارها وثمارها وحورها؛ فيهيج في قلبه حب لقاء ربه، وتتفجر في نفسه طاقة عظيمة تقوي عزمه في طَلَب رضاه، ويستعذب معها مكابدة الطاعة، وحين ينقل بصره تِلقاء أهل النار ويعاين ما هم فيه من بؤس وشقاء، ويرى ما لحقهم من توبيخ وحسرة وندامة، يذوب قلبه كمدًا على ما فرَّط .

فها هو حارثة يعبر عن ذلك عندما سأله رسول الله ﷺ عن حقيقة إيمانه في هذا الحديث: عن الحارث بن مالك الأنصاري أنه مر بالنبي ﷺ فقال له :«كيف أصبحت يا حارثة؟» قال: أصبحت مؤمنا حقا، قال: «انظر ما تقول، فإن لكل قول حقيقة»، قال: يا رسول الله، عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري، فكأني أنظر إلى عرش

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ربي بارزا، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها، فقال له: «أبصرت فالزم، عَبْدٌ نور الله الإيمان في قلبه»، فقال: يا رسول الله، ادع الله لي بالشهادة، فدعا له رسول الله ﷺ (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد).

٩- **إن التفكر في الكون يبعث على التواضع** أمام عظمة الله تبارك وتعالى، ويبعث على حسن الظن بالله ﷻ.

١٠- **إن التفكر في الكون يفتح آفاق المعرفة والتعلم،** فحينما يتفكر المرء في الكون يكتسب معارف جديدة وعلومًا نافعة، يستفيد منها في جميع أمور حياته.

مجالات التدبر والتفكر:

١- **التفكر في صفات الله وأفعاله لا في ذاته:** يستحب التفكر في صفات الله تعالى وأسمائه، انطلاقا من المنهج الذي رسمه القرآن الكريم والسنة النبوية، ويحرم التفكر في ذات الله وكيفيته لأن ذلك لا يؤدي بالإنسان إلى نتيجة أو علم، لأن الإنسان لا يستطيع إدراك كنه ذات الله تعالى.

٢- **التفكر في الكتاب:** الله سبحانه يدعو عباده إلى تدبر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كتابه والتفكر في معانيه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء].

٣- **التفكر في أمور الآخرة**: التفكر في الآخرة وشرفها ودوامها، وفي الدنيا وخستها وفنائها، يثمر الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا. و كلما ازداد علمنا، بتفاصيل اليوم الآخر مالت قلوبنا أكثر نحو الصلاح، واجتهدت جوارحنا في فعل الخيرات وترك المنكرات.

٤- **التفكر في الموجودات**: الكون كتاب مفتوح، يورث التفكر فيه اليقين بعظمة خالقه، ويوثق الصلة بالله -سبحانه وتعالى- والاتصال بالله يسبب استقامة التفكير ونبله، وصقل الروح وسموها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثالث
التجرد لله

إن التجرد لله مرتبة عالية من مراتب الاتصال بالله وتعلق روح العبد بخالقها.

روى البخاري ﷺ في صحيحه، عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع».

إن التأمل في عبارة (إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع)، لَجَدُّ فيها معنى جميل جدا للإخلاص والتجرد لله، فهي تتحدث عن عبد كل ما يريده أن يكون في سبيل الله، لا يهمه إن كان قائدا أو في الحراسة، أو حتى مع الساقة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأيضاً لا يطلب ذكرًا بين الناس ولا سمعة، فلقد أيقن أنه إذًا عُرف عند الله فهذا يكفي.

إذًا هو يبتغي فقط مرضاة سيده ومولاه، بالإضافة إلى أنه معه الخير والفائدة التي يريد أن ينفع بها غيره دون أن ينتظر المقابل.

فهذا هو التجرد من الأهواء المذهبية أو العنصرية أو القومية أو السياسية، بأن يُخلص نفسه لله.

وبمعنى آخر: أن يجعل نفسه وقفًا لله .

ومن هنا آثر الصالحون من عباد الله في كل زمان ومكان أن يتجردوا للغايات العليا ، ويصرفوا نياتهم ومقاصدهم وأعمالهم وأقوالهم إلى الله جل وعلا ، متجردين لذلك من كل غاية ، متخلصين من كل شهوة: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة:٥].

وقد يرتقى الإنسان بهذا الشعور فيرى أن كل ما سوى الله باطل ، وكل ما عداه زائل ، فمن وجده فقد وجد كل شيء ، ومن فقد شعوره بربه فَقَدْ فَقَدَ كل شيء: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾ [الحديد] ، فهو لهذا لا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يرى أحدا غيره حتى يولى إليه وجهه ، أو يصرف نحوه حقه وخيره: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾ (الذاريات]، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ٤٢﴾ [النجم] ، أو لأنه يعلم أن هذه الدنيا فانية زائلة ، وكل ما فيها عرض حقير ، وخطر يسير ، من ورائه حساب عسير ، وأن الآخرة هي دار القرار ، فهو يزهد كل الزهادة في الجزاء في هذه الدنيا ، ويرجوه في الأخرى .

عن شداد بن الهاد ﷺ :أن رجلا من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ، فآمن به واتبعه ، ثم قال : أهاجر معك ، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه ، فلما كانت غزاة ، غنم النبي ﷺ شيئا ، فقسم وقسم له ، فأعطى أصحابه ما قسم له ، وكان يرعى ظهرهم ، فلما جاء دفعوه إليه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : قَسْم قَسَمَ لك النبي ﷺ، فأخذه ، فجاء به إلى النبي ﷺ، فقال: ما هذا ؟ قال : «قسمته لك» ، قال : ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أرمى إلى ها هنا - وأشار إلى حلقه - بسهم فأموت ، فأدخل الجنة ، فقال: «إن تصدق الله يصدقك»، فلبثوا قليلا ، ثم نهضوا في قتال العدو ، فأتي به

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

النبيﷺ يحمل قد أصابه سهم حيث أشار ، فقال النبي ﷺ: «أهو هو؟» قالوا: نعم ، قال : «صدق الله فصدقه» ، ثم كفنه النبي ﷺ في جبته ، ثم قدمه فصلى عليه ، فكان مما ظهر من صلاته: «اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك ، فقتل شهيدا ، أنا شهيد على ذلك» (أخرجه النسائي) .

إن التجرد مرتبة سامقة، ودرجة سامية، لا يتسنى لإنسان أن ينالها إلا بمجاهدة، لا ينبغي أن ينالها نهْمة لا يشبعون، أو غلْمة لا يتعففون ،لا ينالها إلا من ألزم نفسه الطاعات وألجمها عن الشهوات، وصرفها عن الشبهات أحق أن ينال مرتبة التجرد ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنعام]، والتجرد الكامل لمنهج الحق المستمد من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، والاستمساك به، وعدم المساومة عليه ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]، ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٣﴾﴾ [الزخرف].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال ﷺ: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلاَّ هَالِكٌ» (أحمد)، وقال أيضًا ﷺ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ الله وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ».

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الرابع
محبة الله

حب الله شعور ممتع .. إذا احتوى قلب الإنسان وعقله .. يبدل حياته .. ويبعث داخله الدافع والأمل. شعور يحتاجه الإنسان في كل وقت وحين.

لكن استمرار هذا الحب يعتمد على تغذية روحية من المحبوب، فإذا بادلنا المحبوب نفس الشعور كان هذا الحب أجمل ما في حياتنا.

إن محبة الله هي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها نظر العاملون، وإلى عَلَمِها شمَّر السابقون، وعليها تفانى المحبُّون، وبروْح نسيمها تروّح العابدون؛ فهي قُوت القلوب وغذاء الأرواح، وقرة العيون، وهي الحياة التي مَن حُرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي مَن عدِمه حَلَّتْ بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام. إنها المحبة التي ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة، إذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أجمل ما في حب الله أننا نستطيع أن نحبه بكل طاقتنا وأن نتقرب له ليل نهار، فهو لن يمل منا ومن حبنا. إننا نستطيع أن نكشف لله ضعفنا (وهو أعلم به) وأن نطلب منه الملجأ والسند في كل وقت، ولن يتخلى عنا.

أجمل ما في حب الله أننا نجده معنا في كل مكان وفي كل وقت، وهو يعرف سرنا وجهرنا، وقتما أردنا أن نناجيه نجده هو السميع البصير، نناجيه بالساعات وهو يسمعنا، ولو كنا بين الناس وعلت أصواتهم، فصوت قلبنا عند الله أعلى منهم.

أجمل ما في حب الله أننا لا نحتاج أن ننقل له ما نفعله لنثبت له أننا نحبه، فإذا ذكرناه في نفسنا أو في جمعٍ يسمعنا، وإذا فعلنا شيئا لوجهه لا يراه أحد، هو يراه سبحانه، بل يعلم ما لا نعلمه نحن عن نفسنا؛ لذا فإنه لا يظلمنا أبدا، ولا يبخسنا حق حبنا أبدا.

أجمل ما في حب الله أنه سيتسامح معنا إلى أبعد الحدود طالما عدنا إليه وطلبنا السماح، ولن يذلنا ليسامحنا أو يحمل ضغينة تجاهنا كما يفعل البشر.

تقرب إلى الله يحبك الله...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال تعالى في الحديث القدسي: «... ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه... » (صحيح البخاري)، ومتى فُزْتَ بمحبة الله فقد سعدت في الدنيا والآخرة... قال رسول الله ﷺ: «إذا أحب الله عبداً نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض» (صحيح البخاري) .

ومحبة الله ورسوله أعلى وأغلى محبة، بل لا يعدلها منزلة على الإطلاق؛ يقول ابن القيم -رحمه الله- وهو يتحدث عن منزلة المحبة: «وهي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى علمها شمر السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبروح نسيمها تروح العابدون، فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون، وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام، وهي روح الإيمان والأعمال والمقامات والأحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه، تحمل أثقال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السائرين إلى بلاد لم يكونوا إلا بشق الأنفس بالغيها، وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا بدونها أبدا واصليها، وتبوؤهم من مقاعد الصدق مقامات لم يكونوا لولاها داخليها، وهي مطايا القوم التي مسراهم على ظهورها دائما إلى الحبيب، وطريقهم الأقوم الذي يبلغهم إلى منازلهم الأولى من قريب، تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة إذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب، وقد قضى الله يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة أن المرء مع من أحب فيالها من نعمة على المحبين سابغة» (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ٣/ ٦- ٧ تحقيق محمد حامد الفقي).

إذا غُرست شجرة المحبة في القلب، وسُقيت بماء الإخلاص ومتابعة الحبيب، أثمرت أنواع الثمار، وآتت أكلها كل حين بإذن ربها، أصلها ثابت في قرار القلب، وفرعها متصل بسدرة المنتهى.

لا يزال سعي المحب صاعدًا إلى حبيبه لا يحجُبُه دونه شيء ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة].

- ولمحبة الله ورسوله علامات ومظاهر؛ ومن أهم هذه العلامات وأبرزها، وغيرها تابعة لها:

- أن يكون الله ورسوله أحب إلى الإنسان مما سواهما، وأن يحب ما يحب الله ورسوله، ويكره ما يكره الله ورسوله من الأقوال، والأفعال، والأشخاص، والأماكن، وغير ذلك؛ ففي الصحيحين عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كُن فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله، كما يكره أن يُقذف في النار» (صحيح البخاري).

وعن معاذ - في حديث اختصام الملأ الأعلى - عن النبي ﷺ قال: «أتاني ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة - يعني في المنام » فذكر الحديث. وقال في آخره: «قال: سل». قلتُ: «اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني إليك غير مفتون، وأسألك حبك، وحب من يحبك، وحب كل عمل يقربني إلى حبك». فقال رسول الله ﷺ: «إنها حقٌّ فادرسوها، ثم تعلموها» (رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح).

- **ومن علامات محبة الإنسان لله ورسوله: أن يكثر الإنسان من التقرب إلى الله بنوافل الطاعات**، بعد محافظته على الفرائض والواجبات، وبُعده عن المحرمات؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله -تعالى- قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أحبه...» (صحيح البخاري).

ومن هذه النوافل: الإكثار من قراءة القرآن؛ قال ابن رجب -رحمه الله-: «ومن أعظم ما يتقرب به العبد إلى الله -تعالى- من النوافل كثرة تلاوة القرآن وسماعه بتفكر وتدبر وتفهم»؛ قال خباب بن الأرت لرجل: تقرب إلى الله -تعالى- ما استطعت، واعلم أنك لن تتقرب إليه بشيء هو أحب إليه من كلامه.

فلا شيء عند المحبين أحلى من كلام محبوبهم، فهو لذة قلوبهم، وغاية مطلوبهم، قال عثمان ﷺ: «لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم» . (جامع العلوم والحكم لابن رجب ص (٣٦٤).

- **ومن علامات محبة الله ورسوله :الإكثار من ذكر الله -تعالى: الذكر الذي يتواطأ عليه القلب واللسان، وكذلك الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ على الصفة الشرعية؛** وذكر الله من أفضل الأعمال والقربات؛ فعن معاذ ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، أخبرني بأفضل الأعمال وأقربها إلى الله -تعالى-؟ قال: «أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله- تعالى».

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(رواه البزار في مسنده، وقال الألباني: «حسن صحيح»؛ كما في صحيح الترغيب والترهيب،رقم١٤٩٢).

- **ومن علامات محبة الله: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة:** عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية، فكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١...﴾[سورة الإخلاص]؛ فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟». فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأ بها. فقال رسول الله ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه»(صحيح البخاري).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله – تعالى-: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم...» (البخاري ومسلم).

وقال الله ﷻ: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢].

وقد جاء عن سهل بن معاذ بن أنس الجُهني عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: «من أعطى لله ومنع لله، وأحب لله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأبغض لله، وأنكح لله؛ فقد استكمل إيمانه»(رواه الترمذي).

وفي حديث البراء بن عازب ﷺ أن النبي ﷺ قال: (أوثق عُرى الإيمان أن تُحبّ في الله ، وتُبغض في الله» (مسند أحمد) قال ابن رجب -رحمه الله: «ومن أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان، ومن كان حبه وبغضه وعطاؤه ومنعه لهوى نفسه كان ذلك نقصاً في إيمانه الواجب فيجب عليه التوبة من ذلك، والرجوع إلى اتباع ما جاء به الرسول ﷺ من تقديم محبة الله ورسوله وما فيه رضا الله ورسوله على هوى النفس ومراداتها كلها» . (جامع العلوم والحكم، ص٣٩٠).

إن المحبة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وثمارها تظهر في القلب واللسان والجوارح. وقد وصف الله تعالى المحبين بالعديد من الأوصاف، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ ﴾ [المائدة].

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١].

والأكمل في محبة الله ورسوله أن يحصل الإنسان على محبة الله له؛ فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه»، قال عمر ﷺ: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، فتساورت -أي: وثبتُ متطلعاً- لها رجاء أن أدعى لها، فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ فأعطاه إياها، وقال: «امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك» فسار علي شيئاً ثم وقف ولم يلتفت، فصرخ: يا رسول، الله على ماذا أقاتل الناس؟ قال: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنّ محمدا رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» (صحيح مسلم).

فهذه معاني عظيمة وجليلة في محبة الله ورسوله يجب على المسلم فقهها وتعلمها والعمل بها، حتى يكون من المحبين الصادقين، فلا عيش إلا عيش المحبين الذين قرت أعينهم بحبيبهم، وسكنت نفوسهم إليه، واطمأنت قلوبهم به، واستأنسوا بقربه، وتنعموا بحبه، ففي القلب فاقة لا يسدُّها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إلا محبة الله والإقبال عليه والإنابة إليه، ولا يلمُّ شعثه بغير ذلك أبدا. ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم، وآلام وحسرات، فإنه إن كان ذا همة عالية تقطعت نفسه على الدنيا حسرات؛ فإن همته لا ترضى فيها بالدّون، وإن كان مهينًا خسيسًا فعيشه كعيش أخسِّ الحيوانات. فلا تقرُّ العيون إلا بمحبة الحبيب الأول.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الرابع
حاجات الإنسان الطينية والروحية

لقد شاءت إرادة الله أن يخلق الإنسان ويجعل له حاجات ، يحتاج إليها لبقاء حياته ؛ ولذلك فقد زينها له فى نفسه حتى يقبل عليها ويشبعها. وقد عبر عنها القرآن الكريم بأنها شهوة: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ﴾ [آل عمران].

فالحاجة شهوة تتولد داخل الإنسان تزول بمجرد إشباعها؛ لذلك يعرفها علماء النفس: بأنها حالة من النقص أو الاضطراب الجسمى والنفسى ، إن لم تلق من الفرد إشباعًا بدرجة معينة ، فإنها تثير لديه نوعًا من الألم أو التوتر أو اختلال التوازن، سرعان ما يزول بمجرد إشباع الحاجة .

فالإنسان فى فطرته هذه الشهوات ، وهى جزء من تكوينه الأصيل وهى ضرورية لحياته كى تنمو وتضطرد ، فهى شهوات مستحبة مستلذة ، ليست مستقذرة ، ولا كريهة ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والآية الكريمة السابقة تؤكد ذلك ، وهنا يمتاز الإسلام بمراعاته للفطرة البشرية وقبولها بواقعها ؛ لأن هذه الشهوات عبارة عن دوافع عميقة فى الفطرة لا تغلب ، وهى ذات وظيفة أصيلة فى كيان الحياة البشرية ، لا تتم إلا بها ، ولم يخلقها الله فى الفطرة عبثا .

فعلى الإنسان أن يعرف أن لبدنه عليه حقا ، وعليه أن يمتع نفسه بطيبات الحياة ، وألا يحرم ما أحله الله . وما أحله الله يشمل كل ما تتطلبه البنية الصحيحة السوية من لذة ومتاع ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢﴾ [الأعراف] .

تتنوع الحاجات وتتعدد لدى الإنسان ، فمنها الحاجات الفسيولوجية كالحاجة إلى الطعام والشراب ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ١١٩﴾ [طه] .

والحاجة إلى الأمن ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۢ ٤﴾ [قريش] .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والحاجة إلى الانتماء إلى جماعة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات] .

ولقد حاول علماء النفس التعرف على حاجات الإنسان وتصنيفها ومعرفة العلاقة بينها ، وكان من أشهر ما تدفقت عقولهم به ما توصل إليه « ماسلو» حيث رتب الحاجات الإنسانية تصاعديًّا على أساس أنها تنمو تتابعيًّا كما يلى :

الحاجات الفسيولوجية ، حاجات الأمن ، الحاجة إلى الانتماء ، الحاجة إلى تحقيق الذات.

ويرى ماسلو فى هذا الترتيب التصاعدى للحاجات أن المستويات المتتالية للحاجات تظهر تباعا، وتحتل مكانها كلما تقدم الفرد فى النمو والنضج ، فالمستوى الأول من الحاجات الفسيولوجية يظهر مع بداية الحياة ويحتل مكانة الصدارة فى الدافعية ، ثم ما تلبث المستويات التالية من الحاجات فى الظهور على التوالى وتكتسب الصدارة واحدة بعد الأخرى، حتى تصل إلى مستوى تحقيق الذات لدى الفرد الناضج متصدرًا دوافعه ، بينما تكون المستويات السابقة على التوالى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أقل تأثيرًا فى دافعية الفرد .

إلا أن هذا ليس صحيحا ، فكثيرًا ما يحدث اختلال فى هذا التنظيم الهرمى للحاجات ، فقد يحدث لدى بعض الأفراد أن تنتقل الدافعية فى نضجها لديهم من المستوى الأدنى إلى الأعلى دون المرور على المستوى الأوسط بينهما .

وهكذا ندرك أن هناك خللًا فى هذا التصور للحاجات عند علماء النفس ، ولو أن علماء المسلمين رجعوا إلى كتاب ربهم -الذى فيه الهدى كل الهدى- لوجدوا فيه ضالتهم ، فهذا التصور الذى وضعه ماسلو قد اقتصر على الحاجات البهيمية فقط ، ولم يتعداها إلى ما هو أسمى منها لدى الإنسان، فإذا كان ماسلو يتصور أن أعلى وأسمى الحاجات هى تحقيق الذات ، فإن « الثور» فى الغابة أيضًا يحقق ذاته حيث يصارع باقى الثيران حتى يحقق لنفسه الغلبة والفوز ويكون هو سيد القطيع ولا ينازعه فى ذلك باقى الثيران. هكذا يفعل كل طاغية على مر الزمان: فعلها فرعون في قديم الزمان حيث حشر الناس وصاح فيهم: أنا ربكم الأعلى، ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات]. وناداهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قـــائلا: ﴿يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٥١﴾ [الزخرف].

لقد كان تصور ماسلو نابعًا من النظرة الداروينية للإنسان التى تعتبر الإنسان فى نشأته حيوانًا « قردًا » ، ومن هنا جاءت تصورات ماسلو ، كما جاءت تصورات فرويد التى فسرت كل سلوكيات الإنسان بأنه حيوان غارق فى اللذة الجنسية .

ولكن الإنسان له تكوين خاص متفرد ، يزيد على مجرد التركيب العضوى الحيوى ، الذى يشترك فيه مع بقية الأحياء، بخاصية الروح الإلهى المودع فيه، وهى الخاصية التى تجعل من هذا الإنسان إنسانًا، له حاجاته الأساسية التى تختلف وتزيد عن حاجات الحيوان الأساسية؛ لذلك فهناك حاجات أخرى للإنسان أسمى من الحاجات التى حددها ماسلو سابقًا، حاجات تخص الإنسان وتميزه عن الحيوان.

وهذه الحاجات تتمثل فيما يلى :

أ - حاجة الإنسان إلى حرية: التفكير، والاعتقاد، والاختيار، والإرادة :

فالحرية هى صدى الفطرة التى فطر الله الناس عليها وهى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

معنى الحياة ، حيث يشب الإنسان من طفولته وهو يحس بأن كل ذرة من كيانه تنشدها وتهفو إليها، فكما خلقت العين للبصر والأذن للسمع ، وكما خلق لكل جارحة أو حاسة وظيفتها التى تعتبر امتدادًا لوجودها واعترافًا بعملها ، كذلك خلق الله الإنسان ليعز لا ليذل ، وليكرم لا لِيهُان ، وليفكر بعقله ، ويهوى بقلبه ، ويسعى بقدمه، ويكدح بيده ، لا يشعر وهو يباشر ذلك كله بسلطان أعلى يتحكم فى حركاته وسكناته إلا الله ﷻ.

لقد وهب الله ﷻ الإنسان الحرية ولم يجبره على شىء، وترك له حرية الاختيار حتى فى العقيدة ، حيث قال فى كتابه الكريم: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف].

إن الحرية فى الإسلام حق فطرى للإنسان يتمتع به الفرد بحكم ولادته ، وقد عبر عن ذلك عمر بن الخطاب بقوله لعمرو بن العاص معاتبًا : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا »، وعلى النقيض من هذا نرى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الطواغيت ينتهكون هذه الحرية، فها هو الرئيس الأمريكى جورج بوش –الابن– يهدد كل البشرية ويقول : « من ليس معنا فهو ضدنا »، ويعلن الحرب على كل من ليس مع أمريكا.

ب – حاجة الإنسان إلى الشعور بالرضا :

فإلى جانب مستوى حرية: الفكر، والاعتقاد، والاختيار، والإرادة، فهناك مستوى أعلى من الحاجات الإنسانية يتمثل فى مستوى الرضا، والذى يشعر فيه الإنسان بحاجته إلى رضا ربه عليه، وهى غاية ما بعدها غاية ، هذا الرضا من الله هو أعلى وأندى من كل نعيم ، وأكبر من كل لذة ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[التوبة] .

هذا الرضا هو الذى يغمر النفس بالهدوء والطمأنينة والفرح الخالص ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ [الفجر] .النفس المطمئنة إلى ربها ، المطمئنة إلى طريقها، المطمئنة إلى قدر الله بها ، المطمئنة فى السراء والضراء، وفى البسط والقبض ، وفى المنع والعطاء ، المطمئنة فلا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تنحرف، والمطمئنة فلا تتلجلج فى الطريق ، والمطمئنة فلا ترتاع يوم الهول الرعيب .

وهذا المستوى فيه من اللذة ما ليس فى سواه من المستويات السابقة، ويتضح ذلك فى قول رسول الله ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمدٍ رسولا » (رواه مسلم) ، وفى قوله : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة طعم الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار » (البخارى) .

لذلك فإن هذا المستوى من الحاجات هو الذى يضبط باقى الحاجات فى المستويات الأقل ، فيكون لدى الإنسان الاستعداد لضبط النفس ووقوفها عند الحد السليم من مزاولة هذه الحاجات ؛لأن هذا المستوى هو الذى يتعلق بروح الإنسان ، التى جاءت من النفحة العلوية من الله فى خلق الإنسان ، لذلك فهى التى تربط القلب البشرى بالملأ الأعلى والدار الآخرة ورضوان الله ، ومن ثم تعمل على تنقية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحاجات فى المستويات الأدنى من الشوائب ، وتجعلها فى الحدود المأمونة التى لا يطغى فيها جانب اللذة الحسية ونزعتها القريبة ، على الروح الإنسانية وأشواقها البعيدة والاتجاه إلى الله وتقواه .

فالإنسان المؤمن يستطيع تحقيق حاجاته الأرضية جميعها وفي نفس الوقت يحقق بها أعلى مستوى من الحاجات، ألا وهي: مرضاة الله، وذلك بتحقيقها بمنهج الله، وبنية إرضاء الله. فالمؤمن يتزوج على منهج الله، راضيا بهذ المنهج، ليشبع حاجته الجنسية، وحاجة زوجته، حصنا من الوقوع في الحرام، إرضاء لوجه لله. ففي الحديث، عن أبي ذر الغفاري: أنَّ ناسًا من أصحابِ النبيِّ ﷺ قالوا للنبيِّ ﷺ: يا رسولَ الله، ذهب أهلُ الدُّثورِ بالأجورِ، يُصلُّون كما نصلي، ويصومون كما نصومُ، ويتصدقون بفضولِ أموالهم . قال : «أو ليس قد جعل اللهُ لكم ما تَصدَّقون ؟ إنَّ بكل تسبيحةٍ صدقة، وكل تكبيرةٍ صدقةٌ، وكل تحميدةٍ صدقةٌ، وكل تهليلةٍ صدقةٌ، وأمرٌ بالمعروفِ صدقةٌ، ونهيٌ عن منكرٍ صدقةٌ، وفي بضعِ أحدكم صدقةٌ» قالوا : يا رسولَ اللهِ، أيأتي أحدنا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شهوتَه ويكون لهُ فيها أجرٌ ؟ قال : «أرأيتم لو وضعها في حرامٍ أكان عليه فيها وزرٌ ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلالِ كان لهُ أجرًا» (صحيح مسلم).

وهنا يمتاز الإسلام بمراعاته للفطرة البشرية وقبولها بواقعها ومحاولة تهذيبها ، لا كبتها وقمعها ؛ لذلك فقد ضمن الإسلام سلامة الإنسان من الصراع بين شطرى النفس البشرية ، بين نوازع الشهوة واللذة الحسية ، وأشواق الارتفاع والتسامى ، وحقق لهذه وتلك نشاطها المستمر فى حدود التوسط والاعتدال .

وبذلك لا يكون هناك خلل فى هذه المستويات ، كما هو الحال فى تصورات علماء النفس عن الحاجات الإنسانية، الذين استخدموا عقولهم فقط فى وضع تصوراتهم دون الرجوع إلى هدى الله الذى يهدينا إلى سواء السبيل ؛ ولذلك ندعو الله عز وجل أن يهدى علماء المسلمين فى علم النفس والتربية أن يعملوا عقولهم فى ضوء هدى الله ليصلوا إلى الهدى .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فهرس

الموضوع الصفحة

المقدمة ٥
أهداف هذا البحث ٩
المنهج المتبع في هذا البحث ١٠

الباب الأول

إعداد آدم عليه السلام للخلافة

الفصل الأول: مرحلة إعداد مسرح الأحداث (إعداد الملائكة وإبليس لأدوارهم ١٧
إعلان خلق بشر ١٧
إعلان خلافة آدم ٢٣
استفسار الملائكة ٢٥
إجابة الله على الملائكة ٢٦
صدور الأمر من الله للحضور من الملائكة وإبليس بالسجود لآدم بمجرد نفخ الله الروح فيه ٢٦
نفخ الروح في آدم ٢٨
الفصل الثاني: مرحلة مشاهدة واستماع آدم للأحداث ٣١
سجود الملائكة أجمعين لآدم طاعة لله، وعصيان إبليس لله وعدم سجوده لآدم ٣١

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إثبات الله للملائكة أن هناك علمًا لم يتعلموه..... ٣٤
سؤال الله لإبليس عن سبب عدم سجوده لآدم ٣٧
تبرير إبليس لعدم سجوده لآدم ٣٨
صدور الأمر من الله لإبليس بطرده من الجنة..... ٣٩
طلب إبليس من ربه أن ينظره إلى يوم القيامة..... ٤٠
استجابة الله لإبليس بإنظاره إلى الوقت المعلوم..... ٤٢
قسَمُ إبليس لله بإغواء بني آدم بكل السبل إلا عباد
الله المخلصين والشاكرين ٤٣
إعطاء الله المشيئة لإبليس للقيام بما توعد به آدم وبنيه،
وبيان مصيره ومن تبعه منهم ٤٥
أمر الله إبليس بالخروج من الجنة للمرة الثانية ٤٦
بيان الله لآدم وزوجه بحقيقة الأمر(عداوة إبليس
لهما) وتحذيره لهما ٤٧
الفصل الثالث : مرحلة تفاعل آدم المباشر مع إبليس..... ٤٩
أمْر الله لآدم وزوجه بأن يسكنا الجنة ويتمتعا فيها بكل
شيء ما عدا شجرة فيها ٤٩
وسوسة إبليس لآدم وزوجه ليأكلا من الشجرة..... ٥٠
معصية آدم وزوجه لله وأكلهما من الشجرة نسيانا
لأمر الله تحت وطء وسوسة إبليس ٥٢
انكشاف عورتا آدم وزوجه وإحساسهما بالذنب ٥٣

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الرابع : مرحلة التقويم ٥٥
عتاب الله لآدم وزوجه ٥٥
اعتراف آدم وزوجه بالخطأ وطلبهما المغفرة من الله .. ٥٦
اجتباء الله لآدم وتوبته عليه وهدايته له.............. ٥٧
الفصل الخامس : مرحلة الخاتمة أو الغلق ٥٩
الفصل السادس : مرحلة المتابعة ٦٣
(تحذير بني آدم من الشيطان كما حذر أبويهما)........... ٦٣

الباب الثاني

تأملات تربوية إيمانية

الفصل الأول : ٦٩
أولا: الأنموذج التعليمي لإعداد آدم للخلافة ٦٩
الأنموذج التعليمي لإعداد آدم للخلافة ٧٠
استراتيجية مشاهدة واستماع آدم للأحداث ٧٢
استراتيجية تفاعل آدم المباشر مع إبليس ٧٣
ثانيا: موضوع تعلم آدم للخلافة مفهوم العداوة.......... ٧٥
المرحلة الأولى.. ٧٥
المرحلة الثانية ٧٨
المرحلة الثالثة.. ٧٨
ثالثا: إعجاز تربوي في آية ٨٠
الفصل الثاني : **تأملات تربوية إيمانية** ٨٣

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أولا : الطبيعة الطينية للإنسان ٨٣
ثانيا : الطبيعة الروحية للإنسان..... ٨٧
الفصل الثالث : وسائل الاتصال الدائم بالله وتقوية الروح ٩٩
المبحث الأول : الدعاء ١٠٣
استجلاب معية الله – الخاصة– بالدعاء..... ١٠٨
المبحث الثاني : عبادة التدبر والتفكر ١٢٥
مفهوم التدبر والتفكر ١٣١
مجالات التدبر والتفكر ١٣٩
المبحث الثالث : التجرد لله ١٤١
المبحث الرابع : محبة الله ١٤٦
الفصل الرابع : حاجات الإنسان الطينية والروحية ١٥٧
الفهرس ١٦٧